١٠٨٣
1083
كبير
HARLEQUIN
دار م. النحاس

الاب المخدوع

فيل ويزيناند

www.elromancia.com

مرمورية

الاب المخدوع

فال ويزيناند

لقد عاد كلاي اليس.

وبدت له سامنتا ادامسون بنفس جمالها الرائع الذي كانت تتحلى به عندما خانت عهد الحب بينهما، ولكن، كان ثمة شيء قد تغير، وهو انه قد اصبح لديها طفل.

انه يريد ابنه...

لقد اوشكت مخاوف سامنتا أن تتحقق، وهي أن كلاي عندما يكتشف خداعها له، سيكافح في سبيل الحصول على وصاية ابنه. وهي بذلك، لن تخسر فقط الطفل الذي تربيه، وانما ستخسر مرة أخرى، الرجل الذي احبته...

لبنان: ٣٠٠٠ ل.ل - سوريا: ٦٠ ل.س - الكويت: ٧٥٠ فلس - البحرين: ١ دينار - قطر: ١٠ دراهم - السعودية: ١٠ ريالات - الامارات: ١٠ دراهم - الاردن: ١,٥ دينار - المغرب: ٨ درهم مغربي. - سلطنة عمان ١ ريال.

قالت له، إنما بينها وبين نفسها، إذهب وإلعب مع إبنك، فربما هذه آخر فرصة تحصل عليها.

وإذ أخذت تنظر إلى كلاي يجلس القرفصاء مبدياً إعجابه بلعبة جيس، شعرت بغصة في حلقها، بينما اغرورقت عيناها بدموع لم تنهمر. رباه، ما اجملهما، وكم هما متلائمان، رجل وصبي، أب وابنه.

ولكنها ما لبثت أن أشاحت بوجهها، هذه ستكون آخر ليلة تسمح فيها بمثل هذه الحماقة. قد يكون كلاي وجيس قد أحب الواحد منهما الآخر حقاً، يشبعان بذلك حاجة لهما مشتركة، ولكنها لن تطيق رؤيتهما معاً بعد الآن، لقد كان حقهما في ذلك بالغ الايلام لها.

فال ويزيناند

فال ويزيناند تعاني من شاعرية متناهية. تزوجت من زميلها في المدرسة الثانوية عندما كانت في السابعة عشرة. وهي الآن أم لولدين وتعيش في منزل صممته بنفسها وإشتركت مع زوجها في بنائه. قادتها اهتماماتها المتنوعة إلى القيام بأعمال كثيرة رائعة والسفر في أنحاء أميركا وكندا، سواء أكان هدفها من ذلك هو تاليف كتاب جديد، أم تعلم لغة أجنبية، فانها تصر على النجاح، فاذا هي قررت شيئاً، فليس هناك ما يوقفها عن تحقيقه.

عبير ١٠٨٣

Abir 1083

الأب المخدوع

فاليري ويزيناند

دار
م. النحاس
للطبع و النشر و التوزيع
بيروت - لبنان

www.elromancia.com

الفصل الأول

همست سامنتا لنفسها وهي تحدق من خلال ثقب في باب منزلها، فترى زائراً غير متوقع، ولا يتزحزح أبداً. همست: «ابتعد من هنا.»

ذلك ان آخر من كانت تحب التحدث إليه، من بين كل شخصيات ماضيها، هو كلاي إليس.

ألقت نظرة متوجسة نحو الطابق العلوي حيث غرفة إبنها، ان هذا الطرق المتواصل من كلاي لا بد ان يوقظ جيس الذي اكمل لتوه العامين من عمره، وإذا ما استيقظ جيس وكلاي مايزال هنا...

تخللت شعرها الأشقر باصابعها شاعرة بالإحباط، ثم فتحت الباب وكانت يد كلاي مرفوعة ليتابع الطرق على الباب. حملقت سامنتا به. حتى في بنطلون الجينز الباهت اللون والقميص بكميه المرفوعين، خطف منها الأنفاس، هذا الرجل الطويل القامة العريض الكتفين والذي تعرفه جيداً.

رفع احد حاجبيه القاتمين دون ان يبتسم، وقال: «لم اجد رقم هاتفك في الدليل، وإلا لاتصلت بك أولاً. لقد خطر لي انك ربما عدت الى هذا المنزل. اتراني جئت في وقت غير مناسب؟»

حاولت سامنتا ان تحفظ توازنها بعد ان شعرت بالدوار لرؤيته، ولكنها رفضت بعناد أن تظهر له ما اعتراها من اضطراب لذلك وهي تقول بفتور: «لقد كنت اعمل.»

«آه، نعم، عملك ذاك في الصحيفة. رأيت، لحسن الحظ، مقالتك في عدد الأسبوع الماضي من صحيفة إمباير اكسبرس فادهشتني.»

«ما الذي تريده؟»

وعجبت للهجتها الجافة غير الودود، ورأت العينين البنيتين اللتين تعرفهما دافئتين، رأتهما قد اصبحتا قاتمتين جافتين وهو يقول: «لن اعيقك عن عملك، فقد سبق لك ان أوضحت منذ زمن طويل أنه لم تعد لك علاقة بي. كل ما أريده هو أن تعلميني عن مكان زوجتي السابقة، وبعد ذلك أدعك وشأنك.»

فقالت: «فيكي؟»

أجاب ساخراً: «حتى هذه اللحظة، ليس لي زوجة سابقة سواها. انك تذكرينها طبعاً تلك الفتاة القصيرة القامة، المرحة، الرائعة المظهر، ذات الشعر الذي يماثل لونه لون شعرك إنما اطول، إنما معدومة الضمير.»

«كم هذا مضحك!»

فقال وقد عقد ذراعيه فوق صدره: «انني لا أحاول اضحاكك. كل ما أريده هو العثور على فيكي. وبما انك شقيقتها، فاظنك تعلمين مكانها.»

«انني لست الوصية عليها.»

«لقد كنت الوصية عليها سابقاً ولم تعودي كذلك الآن، ولكنك قريبتها الوحيدة. والآن، اين هي؟»

«لا أدري.» وكانت هذه كذبة صريحة أوشكت ان تخنقها.

فقطب جبينه قائلاً: «تباً لانكارك هذا.»

فأمسكت بالباب تحاول صفقه في وجهه، ولكنه كان

أسرع منها إذ اندفعت ذراعه تسند الباب الخشبي السميك وهو يحدق قائلاً: «اتركي الباب.»

اختلست سامنتا نظرة من فوق كتفها إلى السلم الفارغ، ذلك أنه إذا استيقظ جيس وجاء يبحث عنها، فإن عليها، حينئذٍ، أن تجيب على مجموعة من الأسئلة اكثر من مجرد الاستعلام عن مكان أختها الصغرى.

تراجعت إلى الخلف قائلة وهي تنظر إلى غرفة الجلوس: «لا بأس. لا يحسن بنا الجدل ونحن هنا.»

مضى أمامها تاركاً خلفه رائحة عطره المألوف الذي يستعمله بعد الحلاقة، باعثاً في ذلك ذكريات كانت سامنتا قد سبق واقنعت نفسها بأنها قد دفنتها إلى غير عودة، وتبعته تقول: «اجلس.»

أجاب: «بل افضل الوقوف.»

«اخفض من صوتك، إذن.»

نظر إلى خلفها متسائلاً: «لماذا؟ هل فيكي هنا؟ هل هذا هو السبب؟»

«كلا، أقسم على هذا.»

«أين هي إذن؟»

«لقد سبق واخبرتك انني لا أعلم.»

جلس فجأة على الأريكة مشبكاً يديه خلف رأسه وهو يسألها: «متى سمعت أخباراً عن شقيقتك لآخر مرة؟»

أجابت: «لماذا؟» وكانت قد جلست، دون وعي منها، بين كلاي والطريق إلى السلم الذي يؤدي إلى غرفة جيس.

أجاب بابتسامة خفيفة: «انني أتساءل فقط. انني لا اريد ان اسبب لها أي مضايقات. فالأمر مجرد عمل.»

www.elromancia.com

سألته قائلة: «وما نوع العمل الذي بينك وبين فيكي؟ ظننت ان الطلاق بينكما قد تم.»

قال: «وهو كذلك.» حملت جلسته هذه من الذكريات إلى نفس سامنتا ما جعل عينيها تغرورقان بالدموع. كم من المرات كانت ترى كلاي في وضع جلوسه هذا وفي هذه الغرفة بالذات، مئة مرة؟ ألف؟ واكتسحها الماضي بذكرياته المؤلمة الحلوة ما جعلها تحول نظراتها بعيداً كيلا تفضح مشاعرها هذه.

وهكذا سارت نحو النافذة تنظر منها إلى الشارع الهادىء الذي تحف به الأشجار على جانبيه، وقالت دون أن تنظر إليه: «لا بأس. افرض انني صدقتك، ما هو نوع عملك مع أختي؟»

«أما زلت تقومين بحمايتها؟» وابدى بصوته إشارة اشمئزاز وهو يتابع قائلاً: «لقد كبرت فيكي ولم تعد بحاجة إلى الرعاية.»

تنهدت سامنتا وهي تستدير ببطء إلى الرجل الذي أحبت وقالت: «ان فيكي هي من نوع الأشخاص الذين يبقون على الدوام بحاجة إلى أم ترعاهم، فلو كنت أنا موجودة، لما كنتما وقعتما في خطأ الزواج.»

«لو كنت قبلت الزواج مني، بدلاً من نبذي والهرب إلى سان فرنسيسكو، إذن لما وقع هذا الخطأ.»

رفعت ذقنها متحدية: «لقد تكلمنا عن كل هذا من قبل. لقد سبق واخبرتك أنني لن اتزوج مطلقاً، انني أحب حياة العزوبية هذه.»

«نعم، هذا ما قلته.» وتوتر شاعراً بالضيق لتحول

موضوع الحديث بينهما، وإذ لم يعد يستطيع التظاهر بعدم الاهتمام كما كان مصمماً، نهض عن الأريكة وتقدم نحو سامنتا، حيث وقف على بعد عدة أقدام منها وهو يحدق في وجهها بإمعان، ليقول بعد لحظة: «ولكن الشيء الذي لم تقومي به هو أن تخبريني بالسبب في ذلك.»

«انه سبب معقد وقد أصبح الآن من الماضي وليس في نيتي ان احدثك عنه سواء الآن أم فيما بعد.»

أخذ يكافح شعوراً يدفعه إلى أن يذكرها بالسعادة التي كانت تشملهما لو أنهما تزوجا، ويريها مبلغ خسارتها في سبيل الاحتفاظ بوظيفتها. فهو يعتقد ان ليس ثمة وظيفة تستحق أن يضحي الشخص بسعادته لأجلها. لماذا لا تستطيع سامنتا أن تدرك هذه الحقيقة؟

تراجع إلى الخلف، قائلاً: «انك لم تتغيري قط.»

«انا لا أعتبر ذلك عيباً.»

فقال بفتور: «كلا. لا اظنك تعتبرينه كذلك. اسمعي، انني ساترك لك بطاقتي. اعطي فيكي رقم هاتفي. دعيها فقط تتصل بي من فضلك، وأنا اعدك بأنها ستكون مسرورة لذلك.» ومد يده إلى جيبه حيث أخرج منه محفظته ثم أخرج منها بطاقته.

قالت له: «ضعها على المنضدة في الردهة أثناء خروجك.» لم تكن واثقة من قدرتها على احتمال الاقتراب منه مرة أخرى وهي في حالتها هذه من عدم التوازن.

مشى نحو الباب، ليتوقف هنيهة وكأنه يفكر في جواب ولكنه مالبث ان امتثل لما قالت له، فخرج واغلق الباب خلفه بهدوء.

هل كتب عليها الشعور بكل هذا الانفعال نحوه؟ حتى بعد مرور ثلاث سنوات طويلة، مازال ألم حبها له كما كان بالضبط قبل أن تهرب من ضغطه عليها بالنسبة للعهد الذي كان بينهما منذ وقت طويل.

لو أنه فقط يعلم. وشملها الشعور بالألم ما جعل الدموع تنحدر على وجنتيها. ان من الأسرار ما لا يمكن الكشف عنه لشدة ما تجلبه من الخزي حتى ولا لأجل الحب.

حاولت سامنتا العودة إلى مواصلة عملها على الكومبيوتر بعد زيارة كلاي، لكي تنهي القصة التي كانت تكتبها للصحيفة، ولكن قدرتها على التركيز كانت قد توقفت. وعندما استيقظ جيس، ونزل إلى مكتبها ليرى ما تفعل، اغلقت الجهاز تاركة عمل النهار إلى حين آخر.

إن رؤيتها لكلاي مرة أخرى حولت أفكارها إلى مبلغ أهمية ابنها بالنسبة إليها. في الواقع، كان جيس حياتها بأكملها، فقد كان الطفل الوحيد الذي بإمكانها الحصول عليه. ومن المهم بشكل اساسي ان تتذكر ذلك على الدوام.

وعندما رقد الطفل في فراشه ليلاً، اخذت تمر بيدها على خصلات شعره الأجعد القاتم اللون، وعلى وجنته وهي تفكر في كلاي بشوق بالغ.

عندما عاد كلاي بعد ظهر اليوم التالي، كانت بطاقته ما زالت ملقاة على المنضدة في الردهة. فتحت سامنتا له الباب استجابة لطرقه المتتابع. سألها مباشرة دون اهتمام بالتحية: «حسناً؟»

أجابت وهي ترى عينيه تنظران خلفها إلى المنضدة الخشبية: «حسناً ماذا؟»

«انك لم تعطيها بطاقتي.»

«كلا، فقد كنت اخبرتك...»

قاطعها متذمراً: «اعلم، اعلم. ليس لديك فكرة عن مكان فيكي.»

«هذا صحيح.» ولم تكن سامنتا تنوي السماح له بالدخول مرة أخرى. فهذه المرة لم يكن جيس قد نام بعد. «لا اظنك تقبلين بالاتصال ببعض اصدقائها للاستعلام عنها.»

فقالت: «ان بإمكانك ان تفعل ذلك كما افعله أنا.»

قال: «لا يمكنني ذلك من دون معونتك. فإن زوجتي لم تعرفني على اصدقائها الشخصيين قط. وربما كانت تظن أنني اثقل ظلاً من أن ينسجموا معي.»

فقالت: «أو اكثر استقامة.» ولكنها سرعان ما ندمت على تطوعها بهذا المديح العفوي.

قال بشبه ابتسامة وقد بان في عينيه الرجاء: «هل لك إذن أن تزودني ببعض الإرشادات؟»

فقالت: «آسفة، لا استطيع مساعدتك.» ذلك ان آخر شيء كانت تريده هو أن تجمعه بفيكي، إذ لديهما الكثير من الأسرار الخطيرة التي لا يريدانه ان يطلع عليها، وما على أختها عديمة المسؤولية المشتتة الذهن إلا أن يزل لسانها بشأن جيس لكي يفلت عقال الحرب. آه، كلا، ان كلاي لن يحصل على اسماء أو أرقام هاتف من سامنتا، ولو بعد مليون سنة.

«لا تستطيعين أم لا تريدين؟»

فقالت: «وأي فرق بين الاثنين؟»

مد يده يمسك بمعصمها بشدة رغم محاولتها التملص

منه، وهو يقول: «ما الذي حدث لك؟» وكان في وجهه تجهم وغضب وفي عينيه حيرة: «لقد كنا صديقين ذات يوم. كيف حدث هذا هكذا فجأة وكأنني أنا الذي نبذتك؟»

فحاولت تخليص معصمها من قبضته وهي تقول: «انني لم انبذك؟ فقد أوضحت قراري تماماً قبل أن أرحل.»

وكانت قد افلحت في تخليص معصمها من قبضته، فأخذت تدعكها بيدها الثانية تحاول بذلك أن تخفي عن كلاي مدى ارتجافها، وهي تتابع قائلة: «لقد كنت بالغ العناد فلم تستمع إليّ، تماماً، كما هو الحال الآن. انني لا أعلم مكان فيكي، حتى ولو علمت، ما كنت لأخبرك.»

فصرخ فيها: «ولماذا لا تخبرينني؟ وماذا كنت أذنبت بحقك أو بحق اختك لكي ألقى هذه المعاملة؟ كل ما حاولت عمله هو أن اكون صديقك.»

جعلها الشعور بالذنب تخفف من لهجتها إذ تجيبه: «يبدو لي ان شعورك اكثر من ذلك بكثير.»

«هكذا إذن؟ وماذا لو كنت أحبك؟ لقد بدا عليك، يوماً ما، انك تحبذين ذلك؟»

هزت رأسها قائلة: «أبداً. هذا إلى انك سرعان ما وجدت بديلة لي حال رحيلي.»

فتنفس كلاي بعنف: «آه، أختك مرة أخرى. اسمعي، انني اعترف بأنني أخطأت بالزواج منها.»

«كان بإمكاني أن اخبرك بذلك، ولكنني اخبرت فيكي، إذا كنت تذكر، وكان ذلك سبب مقاطعتها لي والحديث معي.»

«نعم، انني أذكر هذا. لقد ظننت أنها ربما صفحت عنك بعد طلاقنا.»

أخذت سامنتا تتذكر ذلك المشهد الباكي الذي أعاد شملهما هي وأختها اليائسة، ومن حسن الحظ، انها عادت إلى سامنتا تلتمس المعونة بدلاً من القيام بما سبق وهددت به. وجف فم سامنتا فجأة، وخنقتها غصة، وأخذت يداها ترتجفان بشكل ملحوظ.

مد كلاي يده بدعوة إلى المصالحة وهو يقول: «اسمعي يا سامنتا. انني آسف ان سببت لك الإستياء. انني فقط لا أدري إلى من الجأ. أظن أنه علي أن استأجر مخبراً خاصاً.»

وعندما لم تمد يدها موافقة علي إشارة المصالحة بينهما، أنزل يده وهو يهز كتفيه، قائلاً: «لا بأس، لقد اتضح لي كل شيء الآن. إذا أنا وجدت اختك، هل تريدينني ان ابلغها شيئاً؟»

لم تستطع سامنتا سوى أن تهز رأسها، يجب ألاّ يعثر كلاي على فيكي. ذلك ان مستقبل جيس يتعلق بهذا الأمر. وأرغمت نفسها على مواجهة الحقيقة، فهناك أشياء اكثر من مجرد شخص مفقود. فإذا لم تشأ ان تنهي حياتها امرأة وحيدة لا يهتم بها أحد في العالم، فعليها أن تهتم بعدم اتخاذ كلاي لمخبر خاص يعثر على زوجته السابقة. وهكذا قالت: «لا تحمل نفسك عناء تكليف مخبر خاص. سأرى ما بإمكاني القيام به.»

وفي الصباح التالي، تدبرت سامنتا أمر بقاء جيس مع أولاد جارتها اليانور تروسديل وذلك لعزله طوال النهار، ذلك ان كلاي اليس كان دوماً رجلاً منظماً، وحيث انه جاء لزيارتها بعد الظهر في يومين متعاقبين، فهذا يعني انه سيستمر على هذا المنوال. وقد كانت محظوظة، حتى الآن، في أنه لم يكتشف

www.elromancia.com

وجود جيس، فإذا هو جاء مرة أخرى كما كانت تتوقع، فإن أسلم الأمور عاقبة هو إبعاد الطفل عن المنزل.

ومع مرور الساعات، اخذت سامنتا تفكر فيما إذا كان احتياطها ذاك دون فائدة، إلى ان سمعت صوت القرع المتكرر المألوف على بابها. انه كلاي طبعاً، ولم لا؟ وهي، بكل بلاهة، قد وعدته بالمساعدة، والمشكلة هي انها لم تكن تعلم ما عليها ان تقوم به الآن. ولكن عليها ان تفتح الباب على كل حال، فالرجل سيتعب من الانتظار.

وما ان فتحت الباب حتى فغرت فاها ذاهلة، ذلك ان كلاي كان يبتسم وهو يدفع إليها ببقاة من الأزهار: «انها اقحوان، لقد تذكرت.»

قالت وهي تتلقى الأزهار: «هذا ما أراه. شكراً.»

قال: «أهلاً وسهلاً.» ونظر خلفها إلى المدخل وهو يقول: «ان منطقة ردلاندز تشتد حرارتها في الصيف. أليس كذلك؟ هل يمكنني الدخول؟»

«بالطبع.» واستدارت تدخل المطبخ وهي تقول: «سأضع هذه الأزهار في اناء.»

«سأساعدك.»

«هذا غير ضروري. انني في الواقع...»

ولم يكن بها حاجة إلى النظر خلفها لتعرف أنه تبعها، فبإمكانها الإحساس بوجوده، كعادتها على الدوام. حتى في المدرسة الثانوية، عندما كان هو في السنة النهائية وهي في السنة الأولى، فقد كانت منسجمة معه إلى حد بالغ. وعندما قتل والداها في حادث السيارة ذاك، وابتدأت هي بالتنقل من ملجأ لرعاية الأيتام إلى آخر...

ارتجفت سامنتا: «ان الجو منعش في الداخل، ولكنه ليس بارداً.» ومال نحوها لينظر إلى وجهها وهو يتابع قائلاً: «فلماذا ترتجفين إذن؟ هل أنت بخير؟»

«أنا بخير تماماً.»

«جيد يمكننا إذن، ان نبدأ بالإتصال باصدقاء فيكي.»

تناولت زهرية من خزانة المطبخ العالية، متجاهلة قوله، وملأتها بالماء ثم اخذت تنسق فيها الأزهار، لتحملها بعد ذلك متجهة إلى الباب الأمامي.

كان في الأعماق يداعبه الأمل، على الدوام، في أن تجمعهما الأيام يوماً ما، ولكنه كان يتذكر، في نفس الوقت، تصميمها العنيد على عدم الزواج مطلقاً، ومدى حزنه لخسارته لها عندما رآها تختار وظيفة في سان فرنسيسكو على البقاء بقربه.

ثم جاءت مشكلة فيكي. وإذا كان من الممكن لفيكي ان تقتنع بتغيير رأيها بالنسبة إلى قضاء حياتها معه، إلا أن حقيقة أنه كان يوماً صهرها زوج أختها.

أخذ ينظر إليها وهي تضع الزهرية على طاولة في غرفة الطعام، ثم تستدير لتدخل غرفة الجلوس حيث جلست على حافة كرسي عالي الظهر ويداها في حجرها، أما كلاي فجلس على أريكة مريحة وهو يقول: «والآن، من أين سنبدأ؟»

«نبدأ ماذا؟»

مال إلى الأمام واضعاً مرفقيه على ركبتيه وأخذ يحدق فيها، محاولاً معرفة ما تخفيه ملامحها، ثم قال: «اتراني كنت احلم أمس، أم انك فعلاً قلت انك ستساعدينني؟»

www.elromancia.com

«قلت انني سأرى ما يمكنني عمله.»

«وبعد ذلك؟»

«بعد ذلك ماذا؟»

هز رأسه قائلاً: «اشعر وكأنني في إحدى تلك المسرحيات الهزلية التي يوجد فيها دوماً رجل مسكين ليس لديه فكرة عما يحدث حوله.»

أصرت على قولها: «لا شيء هناك. لقد فكرت في مشكلتك، ولكنني لم اعرف بماذا يمكن أن اساعدك.» وكان هذا صحيحاً، فقد كانت تفكر أن تعترف لكلاي على الأقل بأنها لا تنوي ان تمكنه من الاتصال بشقيقتها.

وقف وأخذ يذرع الغرفة جيئة وذهاباً، في محاولة للسيطرة على اعصابه. لم يكن يريد ان يكشف عن تفاصيل المستنقع المادي الذي يتخبط فيه، ولها هي على الأخص، وهي التي كانت دوماً فخورة بإنجازاته في الجيش والكلية وفي الاعمال مؤخراً، وفي الحقيقة، كانت هي الحافز له على انشاء اعمال خاصة به وذلك بشكل اسرع مما كان يمكنه ذلك من دونها، لقد كان يريد ان يثبت ذاته، فوجد أنه لم يعد هناك امرأة معينة تنتظره لتشاركه ذلك النجاح، وأخيراً، وقف أمامها عاقداً ذراعيه فوق صدره، وهو يقول: «ما الذي سأفعله الآن؟»

أجابت بابتسامة ملتوية: «لا شيء يبعث على الأمل.»

«انك تعلمين مكان فيكي، فأنا أرى ذلك في عينيك.»

خفضت من نظراتها لتحدق في يديها قائلة: «هذا هراء.»

«أحقاً؟ انك لم تكوني أبداً ماهرة في الكذب، خصوصاً عليّ.»

«كلاي، انني...» وسكتت... ما الذي كانت تريد قوله؟ أن الكذب هنا واجب؟ وأنها لا تريده أن يعثر على أختها؟ وأنها مازالت مغرمة به؟ وأن لها إبن؟

عاد يقول: «انك ستسدين إليّ فضلاً كبيراً بمعاونتي. دعي فيكي تتصل بي هاتفياً، يمكنها أن تعين موعداً في أي مكان تشاء، فأكون هناك. فقط لا تتأخري وإلا فات الأوان.»

«لا أستطيع...»

«نعم، نعم، اعلم أن ليس بإمكانك الإتصال بها، لقد سبق وقلت ذلك.»

نهضت ترافقه إلى الباب: «انني آسفة حقاً، فأنا ليس بإمكاني مساعدتك الآن. فإذا أنت صبرت، ربما سيكون بإمكاني أن اصل إلى شيء... شيء من افكاري البناءة كما تعلم.»

وقف يحدق فيها برهة، قال بعدها: «لا اظنني فهمتك يوماً ما، أليس كذلك؟ فقد بقيت مدة طويلة اظن فيها اننا متحابان، ولكنني لا أظن انه كان لك نفس شعوري، أليس كذلك؟»

فقالت: «إن الأمور تتطور نحو الأفضل.»

قال وهو يقف بجانب الباب المفتوح: «أحقاً؟»

ثم تركها واستدار ليخرج. وهنا وقعت نظراتها على اليانور جارتها وهي تهرول مجتازة الفناء لتصعد الدرجات أمام كلاي مباشرة، والأسوأ من ذلك، كانت تحمل على وركها جيس دامع العينين بينما تجر ابنها ترافيس بيدها.

كان واضحاً ان ترافيس كان يعاني ألماً ما، فتنحى

كلاي جانباً لتمر هذه الأم، بينما أخذت سامنتا تأمل أن يتابع كلاي طريقه.

ناولت اليانور جيس لسامنتا، فمد الطفل ذو الشعر الأسود ذراعيه يطوق عنقها بهما متعلقاً بها بشدة وهو يخبىء وجهه بكتفها.

قالت اليانور بسرعة: «لم يكن الذنب ذنب جيس. كانا يلعبان في الفناء الخلفي عندما تلقى ترافيس ضربة ما على رأسه بنفس حجم كرة الغولف. على كل حال، فقد أراد طبيب الأطفال أن يراه لكي يطمئن إلى أن الضربة غير خطيرة. ان تريسيا وتيفاني تلعبان في منزل أحد الأصدقاء، بينما تومي يلعب مع رفاقه بكرة القدم، ولهذا ليس عليك ان تهتمي بالنسبة إليهم، ولكن ليس بإمكاني ان آخذ جيس معي، أعلم انني كنت وعدت...»

قالت سامنتا بسرعة: «لا بأس. بإمكاني الاهتمام به ان السيد إليس ذاهب الآن.»

بدت اليانور غافلة عن قول سامنتا الغريب هذا، وهي تصب انتباهها على اصابة ابنها ترافيس محاولة أن ترفع شعره عن جبينه وهي تقول له: «يا لها من ضربة. اسمعي، إذا لم يجعل جيس شعرك أبيض في مدى...»

قاطعتها سامنتا قبل ان توضح اليانور قولها هذا: «هيا، اسرعي بأخذ ابنك إلى الطبيب.» ذلك أنه حتى الآن كان هنالك أمل في أن يظن كلاي أن الأمر لا يخرج عن ان اليانور قد احضرت ابنها إلى سامنتا لكي تهتم به اثناء غيابها. ومشت سامنتا مع جارتها إلى سيارتها وهي تقول لها: «اتصلي بي إذا احتجت شيئاً آخر واخبريني عن مبلغ

شجاعة ترافيس.» وابتسمت للطفل ذي الرابعة من العمر وهي تتابع قائلة: «انا اعلم أنه لن يبكي بعد الآن.»

نظر إليها ترافيس والدموع تغسل وجنتيه وهو يقول: «كلا، لن ابكي، فأنا لست طفلاً صغيراً.»

أجابت سامنتا: «أنا أعلم هذا، عندما تعود، انت وأمك، مرا علي لأعطيك شريحة من كيك الشوكولاتة ساصنعها بيدي.»

فقالت اليانور وهي تضع طفلها في السيارة وتشد حوله الحزام، ثم تصعد خلف عجلة القيادة: «احتفظي لي أنا أيضاً بشريحة من الكيك، إذ عندما انتهي من كل هذا، ساكون بحاجة إلى فنجان قهوة.»

فسألتها سامنتا: «هل احضرت حقيبة يدك؟» ذلك أن اليانور كان كل تعقل فيها يتلاشى عندما يصيب ضرر ما أحد اولادها.

أجابت: «إنها في المقعد الخلفي. شكراً.»

رفعت سامنتا يدها تلوح لها مودعة، وفعل جيس نفس الشيء. وعندما ابتعدت السيارة، نظرت سامنتا إلى منزلها.

كان كلاي إليس واقفاً في مدخل البيت، ولم يبد عليه أنه سيذهب قبل أن تعود هي، وهكذا أخذت تمر بيدها على شعر جيس وهي تتقدم ببطء نحو كلاي، محاولة، طوال الوقت، ان تتذكر بالضبط كلمات اليانور كيلا يكون فيها ما يكشف شيئاً. وعليها الآن ألاّ تشير في حديثها مع كلاي إلى جيس بأي شكل من الأشكال.

وقفت أسفل الدرجات تظلل عينيها من أشعة الشمس

بيدها وهي تقول: «ترى انني سأكون مشغولة بعد الظهر، قليلاً.»

فنزل السلم عابساً، وهو يجيب: «لا بأس، لقد فهمت الإشارة. انني راحل.»

بينما اندفع كلاي في طريقه، شدت سامنتا ابنها إليها تحتضنه وكأنها تحميه، وقد كاد قلبها يتفطر لمنظر وجهه، وللعذاب الذي بدا في عينيه. لقد كان الشيء الوحيد الذي جعلها تصمد، هو هذا الطفل الذي بين ذراعيها.

عندما وقف كلاي ينظر إليها، حبست سامنتا انفاسها ونظرت إليه برزانة، كانت تكره الكذب مع العواطف، ولكن لم يكن لديها خيار غير هذا، فقد كان جيس هو الشخص البريء في سلسلة من أخطاء الكبار. وهي بصفتها حامية لمستقبله، سيكون لديه على الأقل، من يكرس حياته لسعادته.

ارتجفت وهي تعود بأفكارها إلى الماضي، لو لم تتدخل بحياة فيكي التي كانت تريد طلاقاً سريعاً دون مشاكل من كلاي، وذلك بأن تجهض جنينها، لكان هذا الطفل الحبيب الذي تضمه سامنتا الآن إلى صدرها، لا وجود له، وجعلها مجرد هذه الفكرة تشعر بالغثيان.

كان كلاي قد وصل إلى سيارته البي. ام. دبليو وفتح بابها، وتنهدت سامنتا مرتاحة. وقبلت رأس جيس وهي تهمس قائلة: «يالك من طفل طيب. هل نذهب ونأكل شيئاً؟»

رفع جيس رأسه وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة عريضة: «كعك؟»

فضحكت برقة وهي تردد: «كعك.»

هتف بصوته الحاد المرتفع: «آه...»

فوضعت اصبعها على شفتيه تسكته: «اهدأ يا حبيبي.» فقال وهو يتوجه باهتمامه إلى ذلك الرجل الذي وقف بجانب سيارته: «ومن هو ذاك؟»

قالت: «انه السيد إليس.»

فلوّح جيس له بيده بخجل، ودهشت وهي ترى كلاي يرد عليه ملوحاً بيده هو أيضاً، وعندما رأته يدخل سيارته جالساً خلف عجلة القيادة، شعرت بارتياح كافٍ جعلها تستدير صاعدة درجات منزلها.

صرخ الطفل: «كعك، يا ماما، أريد الكعك.» وكان صوته عالياً، واضحاً، ما جعل سامنتا تستدير آملة ألاّ يكون كلاي قد سمع هذا، ولكن نظرة واحدة إلى وجهه انبأتها بعبث تمنياتها تلك.

كانت سيارته مازالت واقفة، ومحركها صامتاً، كما أن نوافذها مفتوحة، وخلف عجلة القيادة، كان كلاي جالساً دون حراك، وهو يحدّق إليها. كان الذهول، والإدانة، وخيبة الأمل في عينيه من العنف ما جعلها تنكمش إلى الأعماق.

سمعته يشتم بصوت خافت وهو يدير المحرك، ثم ينطلق بها نحو الشارع.

وإزاء ردة فعله المنزعجة هذه، تغلبت هي على المفاجأة، وأخذت تركض لاحقة بالسيارة وقد تملكها الإنفعال، وقبل ان تنتبه إلى نفسها وتحملها على الوقوف، ركضت مجتازة الفناء، ثم الطريق إلى أن وصلت إلى الشارع: «كلاي، انتظر، أنا...»

كانت سيارة كلاي تستدير حول المنعطف، فهو لم ير تلويح يديها كما انه لم يسمع صراخها.

وسرعان ما أدركت سامنتا مبلغ حسن حظها في ان كلاي كان قد ابتعد قبل ان تفقد تماسكها، لقد مرت بها لحظات خطرة تصرفت أثناءها بدافع من المشاعر الخالصة ناسية كل شيء ما عدا مبلغ اهتمامها العميق ذاك، به.

استدارت عائدة نحو منزلها ذي الطراز الفيكتوري القديم والمكون من طابقين، ونحو الحياة التي اختارتها لنفسها. ان لديها واجبات ومسؤوليات عليها القيام بها. فقد كان هنالك طفل صغير رائع ينتظرها لتصنع له كعكاً.

الفصل الثاني

سار كلاي بسيارته حول مناطق ردلانذر وريفرسايد وسانت برناردينو لمدة ساعات وذلك منذ تركه منزل سامنتا وعندما أوقف سيارته أخيراً ليدخل المقهى، وجد أنه لا يستطيع أن يتذكر شيئاً من الطرقات التي سار فيها.

انتحى ركناً في المقهى حيث طلب قهوة وفطيرة التفاح، ثم أخذ يحدق باكتئاب في الطعام، الطعام الذي وضعه النادل أمامه، وفي السجادة التي تحت قدميه. كان كل ما يجول في ذهنه المضطرب هو صرخة الابتهاج التي صدرت عن ذلك الطفل... ماما... لقد دعا الطفل سامنتا بماما وتقلصت أمعاء كلاي، وهو يحاول أن يقنع نفسه بقبول الواقع بماذا شعر بكل هذا التمزق والكآبة؟

ذلك لأنه كان عرض عليها يوماً الزواج وإنشاء أسرة فرفضت. ففي مستهل شبابه، كان يعتقد أنه وسامنتا، سيصبحان زوجاً وزوجة، ولكنها هربت من تعهده هذا وكأنه يعرض عليها عبودية الحياة كلها.

ثم بعد ذلك تذهب وتحمل بطفل. وكان اكثر ما أثار ضغينته، ان رجلاً آخر قد اخذ الحق الذي انكرته عليه.

أخذ يتذكر تصرفات سامنتا كلما حاول الاقتراب منها. كانا، في ذلك الحين، يمضيان أمسية هادئة. سألته سامنتا بعصبية واضحة: «أتريد فنجان قهوة آخر؟»

«كلا، شكراً.»

www.elromancia.com

ربت على الأريكة بجانبه قائلاً: «تعالي واجلسي بجانبي.» وعندما فعلت بدا عليها الضيق.

قال لها: «لا تخافي، فلن اسبب لك أي ضرر.»

«ليس هذا هو الأمر.»

«ماذا إذن؟»

«كل شيء.»

«لا شيء هناك لا يمكننا، أنا وأنت، معالجته معاً، يا سامنتا، انك تعلمين هذا، لقد كنا دوماً وما نزال في غاية من الانسجام معاً.»

«أريد لعلاقتنا ان تبقى في حدود الصداقة فقط.» وقد ضحك منها، عند ذاك، بدلاً من أن يحمل قولها ذاك على محمل الجد، دون أن يخطر له قط أنها ستتركه وتترك البلد كلها، لقد قال لها: «سنبقى دوماً صديقين، يا حبيبتي.»

ولكنها، بدلاً من أن توافق على قوله ذاك، اخذت تبكي بمرارة، فأمسك بها يتمتم مواسياً إلى أن هدأت أخيراً. كان يظن أن كل هذا سببه خوفها من الزواج بسبب طفولتها التعسة والعبء الساحق الذي ألقي على كاهلها وهو تربية أختها الصغرى وحدها لسنوات كثيرة. إنه لا يدري الآن كيف يفكر في الأمر وهي التي طالما كانت تقول له إنها لا تنوي الزواج وتريد أن تبقى عزباء بقية حياتها.

اطلق ضحكة هازئة، فها هي الآن لها ابن، فيا لها من عزباء. وألقى بثمن طعامه على المائدة، وغادر المطعم متجهاً نحو سيارته.

اندفع بسيارته بعنف. إن ما عليه ان يفعله الآن، هو أن يعود إلى سامنتا ويخبرها برأيه في اخلاقياتها الرائعة.

ولكنه سأل نفسه عن الفائدة التي سيجنيها من وراء ذلك. وحاول أن ينظر بتعقل إلى ما علمه الآن، وذلك بنظرة مجردة.

ولدهشته، منعت الدموع في عينيه الرؤية فأوقف السيارة إلى جانب الطريق وأخذ يشتم ويضرب عجلة القيادة بيده. لقد اعتقد منذ سنوات انه ترك سامنتا وانتهى حبه لها، ولكنه الآن يدرك ان شيئاً من ذلك لم يحدث، ذلك أنه كان يدرك من الأعماق ان سامنتا ادامسون هي المرأة التي أحبها، والتي سيبقى على حبها على الدوام.

وإذا هو عثر يوماً على ذلك الرجل الذي فعل بها ذلك، فسيعرف كيف يهشم رأسه.

أصيب ترافيس، طفل إليانور، بصداع خفيف وورم في جبهته، إنما دون أي ارتجاج من المخ، لحسن الحظ، فتناول من يد سامنتا شريحة الكيك مكافأة على شجاعته، ثم صعد إلى غرفة جيس ليلعب معه، بينما كانت أمه في المطبخ مع سامنتا تتحدثان.

كانت إليانور تقول: «لا أدري لماذا لا تخافين من هذه الدرجات. لو كنت سمحت لأولادي، وهم في سن جيس، بالصعود والنزول على درجات مثل هذه، لوقعوا وحطموا رؤوسهم.»

فقالت سامنتا: «ان النشأة في هذا المنزل تساعد الطفل على التعود، كما حدث معي ومع فيكي إذ لم نقع منها مرة واحدة. وإن تعليم جيس كيف ينزل ويصعد، هو أسهل من مراقبته على الدوام ووضع بوابة أسفل وأعلى السلم.»

«معك حق. من حسن حظك أن جيس قوي البنية سريع التعلم، بعكس أولادي.»

ابتسمت سامنتا: «ربما جيس أكثر حذراً قليلاً.»

فقالت إليانور: «لقد ورث ذلك عن أمه.»

شعرت سامنتا بغصة في حلقها، هل ستبقى دوماً على هذا الخوف من انكشاف الأمر؟ لقد أصبحت الآن كل جملة تقال، تذكرها بأنها ليست أم جيس الحقيقية. وإن يكن الواقع هو أن الطفل قد ورث عنها من الصفات اكثر مما ورث عن فيكي. أمسكت بصحفة الكيك تقدمها إلى إليانور فقالت المرأة الممتلئة القوام: «واحدة فقط.» ولكنها أخذت اثنتين وهي تسألها: «اخبرني عن شكل والد جيس.» فكادت الصحفة تسقط من يد سامنتا وهي تجيب: «ماذا؟»

«أعني والد جيس. انك لا تتحدثين عنه مطلقاً، وأنا أشعر بالفضول.»

رأت من الأفضل ان تخبر جارتها الفضولية بجزء صغير من الحقيقة، فقالت: «كان في الكلية فتى رياضياً تماماً، واظن جيس ورث عنه ذلك.»

«هذا ما أظنه أنا أيضاً، هل ترينه؟»

«كلا.» وكانت هذه كذبة أخرى سببت لها شعوراً عنيفاً بالذنب.

«يجب أن تدعيه يزورك، أعرف أنه ربما كان شخصاً سيئاً، ولكن له الحق في أن يتعرف إلى ابنه.»

وفكرت سامنتا في أنه لا يدري أن له إبناً، كان ذهنها من الإضطراب بحيث لم تتأكد مما إذا كانت قد فكرت في هذه الكلمات أو أنها نطقت بها، ولكن مظهر وجه إليانور الهادىء طمأنها إلى أنها لم تنطق بها.

قالت: «علينا أحياناً، أن نتصرف بما يفيد الطفل، مهما أضر ذلك بأشخاص آخرين.»

فقالت إليانور وهي تأخذ فنجانها إلى المغسلة وتغسله: «أظن ذلك. حسناً، أظن علي ان اذهب الآن، فهذا موعد عودة تومي والفتاتين، وعلي أن أبدأ في إعداد العشاء. شكراً للقهوة.»

«أهلاً بك، وشكراً لملاحظتك جيس هذا الصباح.»

«لا بأس، فأنا، عندما اختلست نظرة من ذلك الرجل الذي كنت معه، أدركت السبب في رغبتك الإنفراد به.»

ضحكت المرأتان وقالت سامنتا: «إنه ليس صديقي. لقد كان صهري زوج أختي...»

«كان؟ أم، مازال؟»

«بل كان... انهما الآن مطلقان.»

اعترفت سامنتا لنفسها بحسرة أنها إذا هي قررت الزواج من رجل يوماً ما، فسيكون هذا الرجل كلاي، دون شك. ولكنها قد تخسره إلى الأبد بسبب جيس، الذي هو اكبر وأهم سر لديها، فهو إبن أختها فيكي، ولأن مشاعر الأمومة التي تغمر نفس سامنتا، تنقص فيكي، فقد شعرت هذه بالسرور إذ تتخلى عن طفلها لأختها لكي تربيه، وقد كان في هذا شيء من العدالة الملتوية، إذ تصبح المرأة التي كانت تحب والد جيس من كل قلبها، راعية إبنه الوحيد وحارسته.

ولكن، أتراها كانت هي عادلة بالنسبة إلى كلاي؟ اخذت سامنتا توجه إلى نفسها هذا السؤال حين عبّر مرة، أثناء وجوده في بيتها، عن لهفته إلى أن تكون له أسرة، وهو المطلق وفي الثلاثينات من عمره، ومع هذا، فلم تكن هذه مشكلتها هي، في الحقيقة، كما أخذت تحدث نفسها. فهي لم ترغم كلاي على الزواج من فيكي، ولا هي تسببت في

طلاقهما، وكون فيكي وجدت نفسها حاملاً بعد طلاقها من كلاي، لم يكن ذنب سامنتا، كذلك، إن كل ما فعلته هو أنها أقنعت أختها أن تتابع حمل الجنين بدلاً من إجهاضه. وإنقاذ حياة جنين ليس خطأ.

فكرت في أنه من المفروض عليها أن تفكر في حكاية مقنعة تقولها لكلاي، عند عودته... هذا إذا هو عاد... ذلك أن العذاب الذي بدا على ملامحه حين سمع جيس يناديها ماما جعلها تظن انه سيتجنبها من الآن فصاعداً.

هذا إلا إذا كان يريد حقاً رؤية فيكي، حيث أن سامنتا أخذت في اعتبارها، للمرة الأولى، أن كلاي قد يكون كاذباً في سبب حضوره المتوالي اليها. وعلى فرض انه كان يسعى إلى إعادة العلاقات بينها وبينه، فماذا سيحدث بعد ذلك؟

* * *

كان كلاي في طريقه إلى بيته في فيكتور فيل، عندما شعر بدافع قوي يدفعه إلى العودة ومواجهة سامنتا، وطوال الطريق كان يحاول اقناع نفسه بأن ليس له الحق في معاقبتها، أو الشعور بأنها خدعته، وربما إذا عاد إليها على الفور، كما حدثه قلبه، فإن استلام زمام الوضع سيعيد الهدوء إلى نفسه المضطربة.

وعاد ادراجه، غافلاً عن زحام السير، وعن تأخر الوقت أو حقيقة أنه لم يأكل شيئاً منذ الإفطار.

لقد دفعه الفضول في أن يعلم المزيد عن هذا الطفل. وعندما وصل إلى بيتها أخيراً، كانت الساعة التاسعة مساء،

وكان هناك ضوء واحد في المطبخ وآخر في الطابق الأعلى، ما يعني أن سامنتا مازالت مستيقظة وأن ليس عليه أن يوقظها من نومها، على الأقل.

صفق باب السيارة، ثم أسرع يرتقي الدرجات إلى الباب، قفزت سامنتا تفتح الباب قبل أن يرفع يده ليقرعه.

قالت وهي تسد الباب بجسمها: «لقد سمعت صوت سيارتك، ماذا تريد؟»

«أريد إيضاحاً.»

«عن ماذا؟»

«انك تعرفين جيداً ما أقصد. انني لا ادين لك بشيء من هذا.»

قالت: «انني لا ادين لك بشيء من هذا.»

قال: «وأنا اقول العكس. من هو؟»

«عمن تتكلم؟»

صرف بأسنانه. فهو لم يقطع كل تلك المسافة عائداً إلى سامنتا، لمزاولة لعبة الأحاجي. فقال: «حسناً، سأوضح لك كلامي. من هو والد الطفل؟»

«هذا ليس من شأنك.»

وكان هو يقول: «ليس من شأني؟ ها أنت مع ابن لك، هل كنت أنا كريهاً إلى هذا الحد، يا سامنتا؟ وهل كنت تشفقين فقط على مشاعري؟»

«كلا.» آه، كم يبدو متألماً، شاعراً بالخيبة، ما الذي يمكنها عمله للتخفيف من ألمه هذا؟ واشتد بها الألم وهي تدرك أن ليس ثمة ما يمكنها عمله أو تجرؤ على القيام به، وذلك لكي تساعده على إدراك ما حدث.

www.elromancia.com

«أحقاً؟ والآن، هل ستدخلينني إلى المنزل، أم ستخرجين إليّ؟»

قالت: «ولماذا؟ لم يعد لدينا شيء نتحدث فيه.»

«بل أظن مازال لدينا، يا آنسة ادامسون.» وأمسك بذراعها يجذبها إلى الخارج. «انك، أولاً، ستخبرينني عن السبب الذي جعلك تغيرين رأيك بالنسبة للرجال.»

فقالت وهي تحاول انتزاع ذراعها من قبضته: «اخفض من صوتك.»

فقال بصوت خشن: «لا بأس، من هو إذن، يا سامنتا؟»

واجهته محملقة به، وهي تقول: «هذا ليس من شأنك.»

قال لها بعد صمت طويل، وقد اختنق صوته: «هل أحببته؟»

وكان هذا اسهل سؤال ألقى به منذ وقت طويل، فأجابت: «نعم، لقد أحببت والد جيس.»

بدت الصدمة على وجه كلاي. حسنا، إنه هو السبب في هذا. فقد توقع منها، بكل حماقة، أن تنكر أن يكون لديها عواطف نحو رجل آخر، وزادت به الحماقة أن يدهش لسماعه العكس.

أخذ كلاي يقلب كلماتها في ذهنه فترة، حتى إذا انتبه إلى الاسم جيس الذي سمعه منها، قال: «هل اسم الطفل هو جيس؟»

فأومأت مجيبة. سألها: «كم عمره؟»

«سنتان ونصف.» ولم تفهم لماذا سبّب قولها هذا له مثل هذا الألم.

بدا عليه الاستسلام وهو يومىء قائلاً: «إنه طفل بالغ الجمال.»

«شكراً.» مرت على وجهه سحابة قبل أن يضيف قائلاً: «آه، يا سامنتا، لماذا لم يكن ابننا نحن الاثنين.» وإذ أحست التغير السريع في مزاجه من الغضب إلى الحزن، أدركت أنه حين يكون رقيقاً آسفاً، هو أقوى تأثيراً على مشاعرها منه حين يكون غاضباً يصيح بها. إنما عليها ألاّ تجعل سبيلاً للضعف إلى نفسها.

فقالت له بفتور: «انك كثير الإفتراض، وهذه هي عادتك على الدوام. لقد أوضحت لك مرة بعد مرة أنه ليس في نيتي الزواج، ولكنك بقيت تتحدث وكأن هذا هو مصيرنا.» وتهدج صوتها: «تباً لك يا كلاي، ليس لك الحق في أن تتصرف وكأنك تملكني.»

وابتدأت الدموع المرة تنهمر على وجنتيها.

قال لها: «أنا...»

فقالت وهي تشهق تحاول التنفس وقد غطت وجنتيها الملتهبتين بيديها: «أتركني... وحدي.»

فمد يده نحوها: «انتظري...»

ولكنها تحولت إلى بيتها وهي لا تكاد ترى من خلال دموعها، ثم صفقت الباب خلفها واقفلته بالمفتاح.

وفي الداخل، انهارت على الأرض وقد سحقها الشعور بالأسى والذنب، ما تفجر معه، في اعماقها، ما تختزنه روحها من عذاب، ومن ثم انخرطت في بكاء مرير.

أما كلاي، فلم يملك سوى الوقوف خلف الباب، مستمعاً إلى بكائها، شاعراً بالكراهية لنفسه لتسببه في هذا، ذلك أنه لم يتوقع قط أن تكون ردة فعلها لتصرفه البسيط ذاك، مثل هذه النوبة الهستيرية ولا بد أن استياء سامنتا الكبير

هذا، من تصرفه ذاك، هو ناتج عن شعور منها بالكراهية له.

شعر كلاي بألم في قلبه اخترق منه الروح، لقد حاولت سامنتا أن تخبره، مرة بعد مرة، بأنها لا تحبه، ولكنه كان يرفض الاستماع. حسناً، ها قد سمع قد سمع ذلك الآن. فإذا هي لم تغير من سلوكها هذا نحوه، فإن عليه أن يتركها في المستقبل بشكل جاد.

وأخذ يشتم. ذلك أنه، بعد أن عاد إليها مرة أخرى، أصبح تجاهلها لمشاعره أشق عليه من أي وقت آخر.

الفصل الثالث

تعمّد كلاي ألاّ يرى سامنتا قبل مرور ثلاثة أيام، علّ الأمور تكون قد هدأت نوعاً ما، ومع ذلك فقد اقتضى منه محاولة العودة إلى ذلك الجدل الكلامي جهداً ذهنياً بالغ التعقيد. وكان في الواقع قد انتهى إلى القبول بصحة استنتاجه النهائي، وهو أن سامنتا لا تهتم به.

إنما، على كل حال، كان لديه عذر قويّ للعودة إلى منزل سامنتا أدامسون. ذلك أن كلاي، في غمرة انفعاله لاكتشاف وجود جيس، كان قد سها عن قضيته الأساسية التي جعلته يأتي إلى منطقة ردلاندز ذلك أنه ما زال مستميتاً في سبيل العثور على زوجته السابقة.

صعد الدرجات المؤدية إلى الباب الأمامي وهو يعلل نفسه بأنه لن يصبر أكثر من أسبوع آخر، فإذا لم يحصل على نتيجة، فهو سيستأجر مخبراً سرياً خاصاً للعثور على فيكي. وفي نفس الوقت، ليس ثمة ما يمنعه من التشبث بسامنتا بالنسبة لهذا الأمر. هذا إلى أنه مدين لها باعتذار بالغ. إن فقدانه لفيكي هو سبب وجيه تماماً لقدومه إلى هنا وإجراء المصالحة.

كان قرعه للباب هذه المرة أكثر اعتدالاً. ومع هذا فقد تجاوب صداه في الطابق الأسفل من ذلك المنزل القديم، وكأنه قرع قويّ.

كانت سامنتا قد أرسلت جيس ليلعب في فناء المنزل

الخلفي دون اهتمام في أن الوقت منتصف الصيف. وذلك لكي تنغمس كلياً في أعمال المنزل ملتمسة نشاطاً جسدياً يذهب بالتوتر الذي تملكها بعد تلك المواجهة المزعجة مع كلاي.

وهكذا، ذهبت تستجيب للطرق على بابها، مرتدية قميصاً واسعاً ملطخاً بالدهان، فوق بنطال جينز بينما كان هو مرتدياً بنطالاً أنيقاً قاتم اللون، وقميصاً أزرق اللون قصير الكمين. فنظرت إليه مخفية سرورها لرؤيته، باظهار التجهم على ملامحها.

جعل الذعر المفاجيء الذي بدا على وجهها، كلاي يلوي ملامحه قائلاً: «مرحباً.»

نظرت إليه عابسة وقالت: «ما هذه السخافة؟ لقد انتهى بي الأمر إلى أنني أصبحت أخاف الاقتراب من الباب. لقد كنت طلبت بيتزا الليلة الماضية، وعندما طرق الصبي المسكين الباب، قفزت من مكاني مذعورة. ولعله ظنني معتوهة أو شيئاً كهذا.»

قال بشبه ابتسامة: «ربما.» فقد كانت تبدو بمظهرها هذا صبية في الثانية عشرة لا أكثر. «يوجد لطخة تراب على طرف أنفك.»

سألته وهي تمسح أنفها براحة يدها: «هل جئت إلى هنا لهذا السبب؟ لكي تتفحص أنفي؟»

«كلا، لقد جئت في الحقيقة للاعتذار.»

«ظننت هذا.» وأمعنت فيه النظر ثم قالت بجرأة: «أليس ثمة حلاوة المصالحة؟»

كان هذا فوق ما كان يرجوه. صحيح أنها كانت باردة المظهر، ولكنها كانت تتكلم معه على الأقل. فقال: «فكرت

في أن أحضر اليك باقة ورد. ولكنني تصورت أن أشواكها ستؤلمني عندما تلقينها في وجهي.»

قالت: «هذه فكرة جيدة.» في الأيام التي مرت منذ أن انهارت على الأرض وأخذت تبكي بمرارة، كان لدى سامنتا الكثير من الوقت للتفكير. لم يكن ثمة حل لورطتها، ولا بإمكانها القيام بشيء لتغير الماضي. إن الشيء الوحيد الذي بإمكانها القيام به هو معاملة كلاي بكل تهذيب كلما واجهته. فهي ترى أنها مدينة له بهذا إكراماً للأيام القديمة. ولكنها لم تكن تفكر في السماح له بالعودة إلى حياتها.

نظر كلاي إلى خلفها قائلاً: «ألن تدعيني للدخول؟»

فقالت: «كلا. لم أقرر ذلك.»

هز كتفيه قائلاً: «في هذه الحالة، ألم يأتك خبر عن أختك؟»

«كلا. آسفة.»

«إذن، أظن عليّ أن أذهب.»

فما كادت سامنتا تفتح فمها لتقول الوداع، حتى تعالى صوت بكاء طفل من خلف البيت. إنه جيس. وإذا بها تنسى كل شيء ما عدا أنه بحاجة إليها. وهكذا استدارت راكضة إلى حيث سمعت الصوت الباكي.

اندفعت إلى حيث كان جيس جالساً في وسط الممر ممسكاً بركبته يمسحها بشدة.

جلست بجانبه قائلة: «ماذا حدث يا حبيبي؟ إنني هنا معك.»

أشار الطفل الباكي إلى ركبته: «لقد وقعت.» ومد ذراعيه نحوها لتحمله.

انحنت لتحمل الطفل، ولكنها فغرت فاها ذاهلة عندما تقدم كلاي بينهما ثم رفعه بحركة واحدة بالغة الرقة، وما زاد في ذهولها أن جيس لم يعترض على ذلك.

سألته بخوف: «من أين جئت؟»

«من الباب الأمامي. ألا تتذكرين؟»

«أعلم ذلك. كنت أعني فقط... آه، لا بأس.» وفتحت باب المطبخ لكي يدخل منه كلاي وجيس.

«ضعه على الكرسي وسأحضر رباطاً وبعض المطهرات.» كان جيس قد عاد إلى النشيج عندما سارت نحو صندوق الأدوية في الحمام وهي تسمع صوت كلاي يهمهم مشجعاً، إنها اذا سمحت بمثل هذه الرعاية من كلاي نحو جيس، فهذا سيفسد عليها خطتها فيما لو كانت تنوي التفريق بينهما.

خفق قلب سامنتا خوفاً وشعوراً بالذنب. إنه ابنه. ورغم انكارها الدائم، فالحقيقة هي أن لكلاي على جيس حق الأبوة.

أطبقت فكيها بحزم. لقد تملك قلبها غريزة الدفاع عن النفس بشكل قرار بالغ العناد، سواء كان ذلك القرار صحيحاً أم خطأ، إن عليها أن تبعد هذا الرجل عن بيتها وحياتها على الفور. انها ببساطة، ستشكره على لطفه، ثم ترافقه إلى الباب، حالاً ودون نقاش. وإذ عادت مسرعة إلى المطبخ حاملة بيد صندوقاً ملوناً يحتوي على الأربطة، وباليد الأخرى محاليل مطهرة دهشت وهي تسمع صوت ضحكات جيس. فوقفت فجأة وهي تسمع كلاي يعد جيس بنزهة إلى مطعم لتناول الهمبرغر مكافأة له لشجاعته في تضميد ركبته.

قالت سامنتا تقاطعهما وهي تزيح كلاي لتأخذ مكانه: «أنا واثقة من أن هذا غير ضروري. فإن جيس شجاع دوماً في مثل هذه الأمور. أليس كذلك يا حبيبي؟»

حرك جيس شفته السفلى استياء، وهو يقول: «أنا أحب الهامبرغر بالجبن.»

«إنك تحبه طبعاً، وهو عندنا على الدوام. هل نسيت؟» افسح كلاي الطريق لسامنتا لتتمكن من تضميد الجرح، وهو يقول: «آسف إذا كنت أتعدى على مجالك. فقد بدا لي أن من الطبيعي أن اقدم له مكافأة لسلوكه الحسن.»

«حسناً، ليس الأمر بهذا الشكل.»

دس يديه في جيبي بنطاله: «آه، ما رأيك إذن في غداء عادي دون سبب خاص؟ إن علينا جميعاً أن نأكل، وقد تأخر الوقت. كما انني أنا أيضاً أحب الهامبرغر بالجبن.»

فأشرق وجه الطفل وابتسم قائلاً: «نعم.»

قالت وهي تشغل نفسها بالتضميد: «كلا، شكراً.» وتجنبت النظر في عيني كلاي مباشرة آملة أن يكون في هذا انذار له. ولكنها كانت مخطئة، ذلك أنها عندما سارت نحو المغسلة، أخذ هو يمعن النظر في وجهها وكأنها آتية من كوكب آخر.

قال عابساً: «لِمَ لا؟ مم تخافين؟»

«لا تكن سخيفاً.»

مد يده نحو جيس: «فلنذهب إذن. أنا والطفل جائعان.»

نظرت إلى ثياب العمل التي ترتديها: «كلا، هذا إلى أنه لا يمكنني الخروج بهذه الملابس. إن مظهري يثير السخرية.»

فقال يحاول اضحاكها: «أنت قلت هذا، وليس أنا.» دون

أن يستطيع ادراك سبب عدم رغبتها في الخروج في جولة صغيرة لا ضرر منها.

تنهدت سامنتا وهي تنقل نظراتها بين أعين كلاي وابنه المتماثلة في اللون البني. كانت نظراتهما الحادة تشعر بأنها أحقر أم في التاريخ. ليس هناك خطر في أن تدع جيس يتناول الطعام مع أبيه هذه المرة، فقط لاراحة ضميرها.

«لا بأس، وسأغير ثيابي أولاً. إنما لا أريد أشياء سخيفة. سنذهب فقط لتناول الهامبرغر. مفهوم؟»

صرخ جيس: «هامبرغر بالجبن.» وأخذ يقفز فرحاً وكأن ركبته شفيت تماماً. رفعت سامنتا حاجبيها: «نعم. هامبرغر بالجبن.» ورمقت كلاي بنظرة فولاذية تلومه بها بوضوح لإفساده عليها يومها، ثم أسرعت نحو غرفتها لتغير ثيابها.

كان مطعم الهامبرغر القائم عند زاوية الشارع، مطلياً باللونين الأحمر والأبيض، ومحاطاً باضواء النيون المختلطة الألوان. كان هو ملجأ سامنتا عندما كانت تهرب من منزلها، حتى قبل أن يكبر جيس إلى حد يتمكن فيه من الاعلان عن غرامه بالهامبرغر.

كان المكان بسيطاً بعيداً عن التكلف، وما أن يفتح الزبون الباب، حتى تفوح رائحة الطعام الشهية مما يزيد في شعوره بالجوع. هذا إلى أن عدم حاجتها إلى أن تطهو الطعام بنفسها دوماً، منحها الفرصة لتكرس جهودها لعملها، ولكنها كانت تتأكد من حصول جيس على الكفاية من الخضر والفاكهة في وجباته الأخرى.

ولكنها هذه المرة، وجدت نفسها تتصرف وكأن الهامبرغر بالجبن سيتلف صحته للتو. فقالت لكلاي على انفراد: «لا أريد أشياء مقلية. إنه لن يستطيع أن يأكلها كلها، كما أنها لا تفيده كثيراً، على كل حال.»

ضحك وهو يرفع جيس بين ذراعيه ما جعله يرى منضدة البائع، وهو يخاطبه قائلاً: «لا بأس، أيها الطفل. أخبر عمك كلاي إذا كنت ما تزال تريد هامبرغر بالجبن.»

كان الطفل يضحك بصوت عال أثناء، حمل كلاي له، عندما قال: «نعم.»

«وتريد حليباً تشربه؟»

سكت جيس، فقال كلاي: «لابأس، هذه المرة، ولكن إذا أردت أن تنمو لتكون كبيراً قوياً مثلي، فعليك أن تشرب الكثير من الحليب.»

أخذ جيس يفكر، ثم قال: «الحليب طيب.»

فقال كلاي: «حسناً، سآكل أنا مثلك. وسنتقاسم كمية كبيرة من البطاطا المقلية.» والتفت إلى سامنتا قائلاً: «ماذا تريدين أنت؟»

«إنني لست جائعة جداً.» ولسوء الحظ، جاء تصريحها البريء هذا وكأنها لا تريد منه سوى الجدل. وفي الواقع، كانت رؤيتها لهذا التقارب بين كلاي وجيس قد أخمد شهيتها.

ابتسم كلاي للطفل الذي على ذراعه وقال له: «إن أمك معارضة حقيقية اليوم، هل هي دوماً هكذا؟» وضحك للنظرة الحائرة التي بدت على وجه الطفل. «لابأس. سنأخذ مزيداً من الهامبرغر، أما هي فيمكنها أن تأكل ما تريد.»

مال كلاي نحو سامنتا يناولها الصبي بينما أخذ هو يدفع ثمن الطعام للبائع. وما أن وضعت جيس على الأرض، حتى ركض هذا خارجاً من الباب نحو ملعب ملحق بالمطعم جعل خصيصاً للزبائن الصغار.

نظر كلاي إلى سامنتا، بينما العاملة تملأ صينيتهم بالأطباق، وقال: «أرى أنك لا تحضرين الطفل إلى هنا، إذ يبدو أن ليس لديه فكرة عن مكان الألعاب وكيفية إحضارها.»

أجابت: «لم أقل قط أننا لا نأكل هنا.»

«آه، أقسم بأنك كنت تتصرفين وكأنني كنت أحاول تسميم ابنك بطعام سريع مرعب.»

«إنني لا أحب أن يخوفني أحد.»

«أهو تخويف، يا سامنتا؟ إنها مجرد دعوة للغداء وليست حكماً بالسجن. هيا، ابتهجي.»

ولم يمكنها إلا الاعتراف بأن الحق معه، فقالت: «آسفة.»

«اعتذارك مقبول.» وحمل الصينية المثقلة وهو يشير إلى مائدة بجانب النافذة العريضة التي تطل على الملعب حيث كان جيس مشغولاً بالتسلق على بناء بلاستيكي أحمر هو عبارة عن صندوق رمال، إنما يحتوي، بدلاً من الرمال، كرات ملونة. وقال: «ذاك مكان مناسب حيث نستطيع منه ملاحظة جيس إذا هو أدركه الملل منا وعاد إلى الملعب.»

تبعته سامنتا وقد تملكتها الحيرة لتصرفات كلاي الطبيعية نحو جيس. كان يبدو وكأنه كان يتدرب على الأبوة طول حياته حتى اذا ما سنحت له فرصة، تقدم نحو هذا الدور دون جهد.

نظرت من النافذة حيث أشارت إلى جيس، فأتى هذا على الفور حيث تسلق ركبتي أمه بصعوبة ليقف على المقعد البلاستيكي لكي يتمكن من اختطاف الطعام عنوة.

مد كلاي، الذي كان جالساً إلى المائدة، يده مبعداً طبق الطعام وهو يقول: «اجلس بأدب وسأعطيك بعضاً منها.»

مد جيس شفته باستياء، ولكنه امتثل لما أمر به. فاعترضت سامنتا: «إنه ما زال صغيراً.»

«في أي عمر ابتدأت أنت تتدربين على اداب السلوك؟»

«لا أتذكر.»

فقال باسماً: «حسناً، أنا أتذكر. كنت أنا في السادسة وهذا يعني أنك لم تكوني اكبر كثيراً من جيس الآن. وكانت أمي وأمك قد اتفقتا على أن يقيما لي حفلة عيد ميلاد مفاجئة وكان أن أحضرتك أمك معها.» كان يتكلم وهو يضع الهمبرغر في صحن جيس بجانب كمية من البطاطا المقلية أمامه قائلاً: «هيا، ابدأ بالأكل.» بينما كانت سامنتا تحاول تذكر ذلك الحدث البعيد ولكن كل ما كانت تتذكره هو مكان غامض حافل بالتشويق وشعورها بأن كل الأولاد الآخرين اكبر منها.

كان هو يقول: «كنت ترتدين ثوباً ورديا، كله كشاكش، وأتذكر أنني شعرت بجرح في كرامتي لوجود (فتاة) في حفلتي. خصوصاً فتاة صغيرة مثل هذه.» وضحك عالياً.

تناولت من يده الهامبرغر وابتدأت تقضمها وهي تسأله: «أتراني كنت بشعة؟»

«كلا، كلا أبداً. بل كنت حلوة جداً. ولكنني، طبعاً، في ذلك الوقت لم اكن كبيراً لكي أعجب بأي فتاة. المهم أن صورتك

تلك ما زالت في خيالي، طفلة تأكين، بخجل، حصتك من الكيك والبوظة وتجعلينا، نحن الصبيان، نشعر بالخزي إزاء تصرفاتك المهذبة على المائدة.»

احمر وجهها قائلة: «أنا؟»

ضحك مرة أخرى بهدوء وصوت منخفض وهو يقول: «نعم، أنت. من الصعب تصديق هذا، أليس كذلك؟»

«الذي من الصعب تصديقه هو تذكرك لمثل هذه الأشياء الصغيرة كل تلك السنوات الطويلة.»

قال: «إنني أتذكر كل ما يتعلق بك.»

قالت متغاضية عن هذا التقرير الساخر: «كانت تربية الأطفال مختلفة في عهد والديّ. أظنهما كانا يتوقعان مني أشياء كثيرة.»

فقال: «ربما ليس بالقدر الذي كنت تتوقعينه من نفسك. لدي شعور بأنك ما زلت قاسية نحو نفسك اكثر من اللازم. فأحد الأبوين وحده لا يكفي لتربية الطفل، كما تعلمين.»

ألقت نظرة على جيس. كان يأكل الهامبرغر بقدر ما يستطيعه من الحذر وهو ينظر إلى كلاي وكأنه مثل أعلى. وعندما كان الرجل يمد يده إلى البطاطا المقلية، كان الطفل يقلده بنفس الطريقة. وما كانت لتصدق هذا التحسن في سلوك جيس لو لم تشاهد ذلك بعينيها.

قال كلاي: «الأولاد رائعون حقاً، فأنت لا يمكنك أن تتصوري مقدار قدرتهم على التعلم، وسرعتهم في ذلك، هذا إذا ما وضعت لهم أولاً القوانين ومنحتهم الفرصة لاتباعها.»

بقيت سامنتا صامتة لا تريد أن تتحداه أمام الطفل الذي كان يراقب تبادل الحديث بينهما باهتمام واضح.

سألته وهو يترك من يده بقايا الهمبرغر: «هل انتهيت؟»

«نعم.» فمسحت له يديه ثم قالت: «بامكانك إذن أن تخرج إلى الملعب لعدة دقائق.»

نظر جيس إلى كلاي كأنه يستأذنه، وعندما أومأ له هذا بالسماح له بذلك، انزلق من على كرسيه، وسار من تحت المائدة إلى حيث انطلق نحو الملعب.

عند ذلك وضعت سامنتا الهمبرغر من يدها، لتستقيم في جلستها، قائلة: «أكون شاكرة لك لو أنك تركت لي أمر تربية جيس. إن ذهنه سيتشوش لو أنه أخذ يتلقى أوامر من أكثر من جهة.»

فرفع حاجبه قائلاً: «أرى انك غير موافقة على طريقة السلوك التي طلبت منه اتباعها.»

«ليس هذا بالضبط ما عنيته.»

«ماذا عنيت إذن... بالضبط؟»

قالت: «إنه ابني وأنا أربيه بالطريقة التي أراها أفضل. ويمكنني أن أقوم وحدي بذلك كأحسن ما يكون.»

تنهد كلاي: «أظن هذه هي العقدة في مشكلتنا. كنت دوماً تريدين الانفراد بعمل الأشياء ولم يتغير شيء. ليس هنالك مكان لي في حياتك، أليس كذلك يا سامنتا؟»

فكان جوابها له أصعب مما تصورت: «كلا.»

قال كلاي وهو ينهض ليفرغ بقايا الطعام: «أتمنى لو كنت مثلك. فأنا بحاجة إلى شخص في حياتي يكرس حياته لأجلي ويهتم بشخصي وليس بثروتي وسيارتي الفخمة.»

تمتمت تقول: «مثل فيكي.» فقد كانت تعرف تماماً أختها وطموحها إلى الثروة والرفاهية.

أوما برأسه وهو يلقي بالأكواب الفارغة في القمامة: «نعم، فيكي. أتمنى...» واستدار ينظر من فوق كتفه، متوقعاً أن تكون سامنتا ما زالت واقفة بقربه. ولكنه بدلاً من ذلك، رآها تدخل الملعب لتحضر جيس. أخذ يحدّث نفسه بأن هذا الصبي غير عادي، ولكن له أماً جميلة غير عادية هي أيضاً. إنما الأمر الذي يشق عليه التفكير فيه، هو انهما من دون والد لجيس.

وبينما سار يتبعهما، أخذ يتساءل عما إذا كان يستقبل فكرة أن سامنتا أحبت رجلاً غيره إلى حد رضيت بأن تنجب منه طفلاً. ولأمر ما، كان يرتاب في صحة هذا.

وفي طريق العودة إلى منزل سامنتا، أخلد جيس إلى النوم، فساد السكون.

وقف أمام بيتها وهو ينزل ببطء كيلا يوقظ الطفل النائم: «اتريدينني أن أساعدك بحمل الطفل إلى سريره؟»

«يمكنني القيام بذلك بنفسي.»

وجد كلاي أن صبره كاد يفرغ من استنتاجها الدائم أنه يرتاب في قدراتها. «أنا أعلم أن بامكانك ذلك. كل ما طلبته هو أن اساعدك. وهذا كل شيء.»

قالت وهي تميل على جيس تفك عنه حزام الأمان: «يمكنك أن تحضر مقعد السيارة إذا شئت.»

امتثل كلاي لطلبها هذا، ثم تبعها إلى الباب حيث اسندت الطفل إلى وركها، وأخرجت المفتاح تفتح الباب وكان بامكانه أن يتطوع بالقيام بذلك لأجلها، ولكنه خاف أن تقطع رأسه لو أنه نطق بكلمة.

أشارت إلى الداخل، قائلة: «ضع المقعد على الأرض في الردهة وسأعيده إلى سيارتي فيما بعد.»

وإذ رآها تصعد السلالم إلى غرف النوم، وضع المقعد في الزاوية تحت السلم، ثم انتظر.

عندما عادت سامنتا، بدت عليها الدهشة وهي تراه ما زال موجوداً.

قال: «أظن أنه كان من المفروض أن أغادر، ولكنني فكرت في أن بإمكاننا تبادل الحديث قليلاً بحرية حيث أننا وحدنا الآن.»

«نتحدث عن ماذا؟» ودفعتها الكآبة التي بدت على ملامحه، إلى القول: «لابأس. بما اني ما زلت هنا، ما رأيك في كوب من عصير الليمون؟»

فقال وهو يتجاوزها إلى الداخل بسرعة قبل أن تغير رأيها: «أظن الشاي المثلج أفضل، فأنا أتذكر عصير الليمون الذي تصنعينه.»

فضحكت قائلة: «كنت في العاشرة عندما صنعت لك ذلك العصير المخزي الذي تتحدث عنه، يا كلاي. انني اعرف الآن أنك تريده حلواً.»

«إن هذا يشير إلى أن ثمة تحسن.»

سارت نحو المطبخ وهي تقول: «لم يحدث أن ادعيت مرة أنني ماهرة في المطبخ. هل تريد الحضور لتتأكد من مقدار السكر الذي تريده في العصير؟»

«لابأس.» وتبعها إلى المطبخ شاعراً بالارتياح إذ وجد شيئاً يقوم به بدلاً من الوقوف، ما قد يجعلها تفكر في سبب تبعده به عنها.

وضعت سامنتا على المائدة، الليمون والسكين والمعصرة ثم ابتعدت قائلة: «اعصر الليمون بينما أزن أنا المواد.»

أخذت تراقبه وهو يفعل ما طلبته منه، وعلى شفتيها ابتسامة ثم قالت: «كيف تسير أعمالك هذه الأيام؟»

«لابأس. مع أنها ستكون أفضل كثيراً لو أمكنني العثور على أختك. إنني بحاجة ماسة إلى تلك القطعة من الأرض التي تملكها في سيكامور وذلك لمشروع مركز تجاري آخر أقوم به.»

«هل بنيت الكثير من هذه المراكز؟ كنت أظنك مهتماً ببناء الشقق السكينة.»

«كنت كذلك، قبل أن تسافري إلى الشمال. ومنذ ذلك الحين تحولت إلى مشاريع أكبر. صحيح أن تمويل ذلك أكثر صعوبة، ولكن الفائدة هي أفضل أيضاً... بشرط ألاّ يكون هناك مجال لأي خطأ.» وسكت برهة عاد بعدها يقول: «أتعلمين؟ عندما أقع في ورطة كالتي أنا فيها الآن، اتمنى عند ذاك، لو أعود إلى المطرقة والمسمار، كالأيام السالفة.»

«آه، أنا لا أتمنى ذلك.»

«هل حدث لك شيء؟»

«آه، لا شيء، كنت منذ أيام اثبت عريشة العنب، وما زالت يدي تؤلمني.»

نظر إلى راحتها فشاهد بعض البثور، قال: «حسناً، لا تفعلي شيئاً كهذا مرة أخرى. فلو التهبت هذه البثور لوقعت في مشكلة حقيقية.»

«إن علي أن أقوم بشيء ما، وإلا انهار هذا المنزل القديم فوق رأسي. فهو أكثر قدماً مني أنا.»

«هل هو بهذا القدم؟»

«إخرس يا كلاي، إنك أنت أيضاً أكبر مني.»

«بسنوات قليلة فقط، ولو أنني أشعر بها وكأنها عشرات السنين، وشكراً لأختك.»

«أليس من الأفضل أن نتحدث عن شيء آخر؟ عن شيء أقل خطراً؟»

فقال وهو ينشف يديه: «بكل تأكيد. اسمعي، لماذا لا أساعدك في تسوية المنزل قليلاً ما دمت أنا هنا؛ كما اعتدت أن أفعل، كما تعلمين؟ ربما بإمكاني إنهاء تثبيت العريشة.»

«لا سبيل إلى ذلك.»

«لماذا؟»

«لا ضرورة لذلك. صدقني.»

«كلا؛ هل لك أن تريني بثور يديك مرة أخرى؟»

«إنني لم أقصد...»

«أعلم ذلك. فأنت قادرة تماماً على القيام بنفسك بكل شيء. وبجانب ذلك، فأنت لا تريدين أن تكوني مديونة لي بشيء.»

نظرت إليه بحذر وتحفز وهي تفرك راحتيها بقميصها. فقال: «لا تدهشي إذا أنا قرأت أفكارك، فقد قمت بذلك لسنوات.»

«لقد سبق وأخبرتك بأني لا أحب الحديث عن الماضي. فلماذا نعود إليه دوماً؟»

«ربما لأننا لم نجتمع كثيراً منذ الأيام الماضية. يبدو لي أحياناً أنك لا تريدينني أن أعرف الكثير عنك.» ومال على حافة المائدة وهو يتفرس فيها.

نظرت سامنتا في أعماق عينيه القاتمتين، وانتقلت بها

www.elromancia.com

الأفكار إلى أيام سعيدة مضت قبل أن يتزوج بفيكي، كانت قد شعرت بنفسها قريبة جداً من نفسه.

قال: «إنني فقط أردت القيام بشيء بسرك. هل في هذا ما يصعب فهمه؟»

«لا أظن ذلك.»

«دعيني إذن أصلح العريشة.»

«إنه عمل شاق، فالأعمدة قوية، ولكن الألواح المعترضة بالية تقريباً، والفروع القديمة تعترضك أثناء العمل.»

ضحك قائلاً: «يبدو وكأننا سبق وقررنا أنني خبير في الأشياء القديمة التي تعترض الطريق.» وسار نحو الباب وهو يخاطبها قائلاً: «أنهي أنت صنع العصير، بينما أرى أنا ما يمكن اصلاحه.»

«ولكن...» وسمحت له بالعمل في منزلها مترددة، ولكن يبدو أن كلاي كان واثقاً من ذلك، وربما لو استشارت قلبها، لوجدت أنها تريده فعلاً أن يبقى لبعض الوقت. فإن رؤيتها له مرة أخرى قد أعادت إليها ذكرى تلك الأيام المشرقة التي مرت.

الفصل الرابع

وضعت سامنتا مكعبات الثلج في كوبي عصير الليمون الذي صنعته، ثم خرجت لترى ما يفعله كلاي. كان قد أقام السلم الخشبي البالي تحت العريشة، ثم صعد عليه حيث رأته في منتصفه وقد حجبت رأسه أوراق العريشة المتشابكة.

عندما شعر بوجودها، هبط السلم ليتناول من يدها كوب العصير البارد الذي قدمته له: «شكراً، انني عطشان.» وحالما رفع الكوب إلى شفتيه، حتى أخذ يشرق ويقح.

رفعت سامنتا اصابعها إلى شفتيها وقد اذهلها ردة فعله غير المنتظرة تلك، لا يمكن أن تكون من انشغال الفكر إلى هذا الحد الذي جعلها تنسى تحلية العصير مرة أخرى.

التوت قسمات وجهه وهو يندفع إلى الباب هاتفاً: «النجدة، أريد سكراً.»

كانت سامنتا قد سبقته إلى حيث أمسكت بإناء السكر لتغرف منه ملعقة مليئة بالسكر وترفعها إلى فمه بنفس الطريقة التي كانت تطعم فيها جيس عندما كان طفلاً رضيعاً.

وفتح كلاي فمه ثم أطبقه، وتلاقت أعينهما وتوقفت منهما الأنفاس لحظة.

تقدم نحوها خطوة وهو يقول بأنفاس متقطعة: «ها اننا نعلم الحقيقة الآن، أليس كذلك؟»

«أي حقيقة؟» ولكن في قلبها كان العديد من الأجوبة مثل (نحن نعلم أننا نحب بعضنا، وأن الواحد منا متعلق بالآخر.) ولكنها كانت من الحكمة بحيث احتفظت بهذه الأفكار لنفسها.

انقذ كلاي الموقف بسرعة بديهة إذ قال: «اننا نعلم انك ما زلت لا تحسنين تحضير عصير الليمون.» وكان بهذا يناقض ما كان يعلم أنه ارتسم على وجهه وفي عينيه، كما ارتسم في وجه وعيني سامنتا. «اظنني عدت فنسيت السكر مرة أخرى، وكل ذلك بسببك.»

«بسببي؟ لماذا؟»

«ذلك بسبب الهائك لي، وأنت دوماً هكذا.»

«وهل هذا أمر سيء؟»

«نعم، بالنسبة إليّ، ان الذنب في ذلك ذنبي. ما كان لي أن اتطرق إلى الماضي، فأنا لا أريد أن أخوض في شيء منه، حتى أنني أريد أن أنسى أنني عرفتك يوماً ما قبل زواجك من أختي.»

واستدارت مبتعدة حتى لا يرى العذاب الذي ارتسم في عينيها، وهي تقول: «ضع شيئاً من السكر في العصير يا كلاي، فأنا سأصعد للإطمئنان على جيس.»

فعل ما أشارت به عليه، وأخذ يراقب حبيبات السكر وقد تاه به الفكر، ما أسوأ ألاّ يستطيع الرجل تجديد حياته عندما يعرف ما عليه أن يفعله لذلك. وتمنى لو تعود به الأيام ليكون من الحكمة بحيث لا يقع في غرام فتاة، ثم يتزوج أختها نكاية منه لها لصدها له.

وقفت سامنتا عند سرير الطفل النائم وقد عذبها ضميرها

بينما أخذ قلبها يخفق بشكل غريب، فهي، والحق يقال، لم تحاول أن تخدع أحداً من اصدقائها وذلك بجعلهم يعتقدون انها انجبت حقاً هذا الطفل، كان كافياً أن تتبادل مع أختها بطاقتي الهوية عندما زارت اختها طبيب الولادة، ثم بعد ذلك عندما دخلت المستشفى، فبتلك الطريقة، ظهر اسم سامنتا على شهادة ميلاد جيس دون الحاجة إلى القيام بإجراءات قضائية.

وعندما كانت فيكي تنتظر ولادة ابنها، وهي البالغة الاهتمام بنفسها اكثر من أي شخص آخر، قالت: «لقد تركتك تقنعينني بهذا الأمر.»

ونجحت خدعتهما دون أي عقبة، إذ أن الأوراق الرسمية كانت تثبت أن سامنتا لويس أدامسون قد دخلت المستشفى حيث ولدت طفلاً أسمته جيس. وفي مكان اسم الأب من الأوراق الرسمية، وضع الكاتب بكل بساطة (رفضت ذكر الاسم).

كان بإمكان سامنتا أن تبقى في سان فرانسيسكو، لولا أن القلق تملكها خوفاً من إثارة شكوك البعض الذين قد يستغربون حقيقة أنها لم تكن حاملاً قط فكيف حدث أن لها ابناً الآن، في أوراق رسمية؟ هذا إلى أن شيئاً في منطقة ريدلاندز يجتذبها للعودة. فقد كان هناك الموطن، والأمان، والراحة.

ولم يخطر لها ولو واحد في المليون أن جيس وكلاي سيجمعهما، يوماً ما، سقف واحد كأية أسرة عادية، وإذ كان جيس نائماً، فقد قررت تغيير ملابسها وارتداء ملابس قديمة لكي تساعد كلاي في العريشة، ثم تشكره بعد ذلك بكل لطف مرسلة إياه في طريقه، إنما، كلا، فهذا ليس ما كانت

توده في الحقيقة، ذلك انها لن تسمح لأحد، حتى ولا لأبيه الحقيقي أن يسلبها ابنها بينما ما زال فيها القدرة على المقاومة، أو أثر من العزم في روحها.

ناداها كلاي من مكانه المزعزع فوق العريشة: «ناوليني أحد هذه الألواح التي كنت قطعتها.»

أمسكت سامنتا اللوح الضيق الطويل من طرفه، وناولته إياه من خلال اغصان العريشة، وسألته: «أتريد شيئاً آخر؟»

«كلا. أكاد أنتهي. وهذا حسن، فالشمس أحرقتني هنا.»

كان جلياً أن مشاعرها نحوه كانت تزداد عمقاً كلما طالت إقامته بقربها، كل نظرة منه كانت تنقل رسالة خفية إلى قلبها وكل كلمة ينطق بها كانت ترسل بهجة في كيانها، فهو ما أن اتخذ دور الأب بتلك السهولة، حتى كان يدخل حياتها وكأنه لم يتركها قط. إن هذا أمر لا يمكن أن يستمر.

أخذت تفكر بما قد يحدث بعد ذلك، ذلك أن عذر كلاي في أنه يريد مقابلة فيكي، مازال يتردد في احاديثهما. لا بأس، فإذا كان ذلك صحيحاً، فهو سيرضى بالخروج من حياتها حالما يحصل على ما يريد.

وطبعاً، كان من المجازفة الإفتراض أن فيكي ستقبل الإحتفاظ بسرهما إذا هي قابلت زوجها السابق وتحدثت إليه. إذ لم يكن حفظ الأسرار من طبيعتها. ومن هنا توصلت سامنتا إلى قرار اكثر أمناً ستكاشف به كلاي حالما يهبط من على العريشة.

قالت: «إن لديّ فكرة عظيمة.»

فقال وهو ينحني ليغسل رأسه ورقبته وذراعيه تحت خرطوم مياه الحديقة:

«ما أشد حرارة هذا النهار.»

«إنه أنت الذي اقترحت القيام ببعض العمل. هل تعبت؟»

قال: «لقد انجزت قدر إمكاني محاذراً من انهيار هيكل العريشة، ومن ثم اضطرارنا لإعادة بنائها.» ثم استقام يمسح بزنده جبهته الرطبة وهو يتابع قائلاً: «ما رأيك في أن اجلس انا هنا في حين تصنعين انت شيئاً من عصير الليمون؟»

«لا بأس، إجلس أنت في ظل شجرة، وسأعود حالاً.» ثم ذهبت مسرعة، ولكنها عندما عادت بكوبين من العصير المحلى هذه المرة، كان كلاي مستلقياً على العشب مشبكاً يديه تحت رأسه وقد اغمض عينيه.

وحيث أنها لم تكن هناك طريقة تنبهه بها بسرعة، وقفت عند رأسه، ثم قطرت من الشراب المثلج عدة قطرات فوق وجهه.

«أوه، لماذا...»

ضحكت وقالت: «شرابك يا سيدي.»

وأسرعت تضع الكوب في يده، ثم ابتعدت قليلاً، بينما كان هو يضحك، وقالت: «انك لم تسمع بعد فكرتي.»

«لا بأس، هاتي ما عندك. هيا، فأنا اسمعك.»

«انها عن فيكي. كل ما عليك ان تفعله هو أن تخبرني بالضبط بسبب حاجتك إليها. وسأكون أنا الوسيط بينكما.»

ضاقت عيناه مرة أخرى: «ظننتك قلت إنك لا تعلمين مكانها.»

ولم تكن تتوقع، في غمرة حماسها، أن يأخذ كلاي الأمر من هذه الناحية، فقالت: «حسناً، أنا...»

«ما الأمر يا سامنتا؟ هل تعلمين أم لا تعلمين؟»

«ربما أعلم، فليس هذا هو الموضوع.»

«بل هو الموضوع بالضبط. كيف امكنك أن تستمري بالكذب علي بهذا الشكل؟»

«لا تلح علي، يا كلاي، فأنا أريد أن اساعدك.»

«انك تساعدين الجميع إذا كنت صريحة معي، أين اختك؟»

اطبقت شفتيها بحزم، بينما وقف كلاي وتقدم نحوها قائلاً: «أين هي يا سامنتا؟ إن إخفاءك لمكانها لا يفيدها بشيء. فأنا أنوي أن أدفع لها ثمناً لقطعة الأرض تلك اكثر مما تستحق، واكثر مما قد يدفعه لها أي شخص آخر.»

«لماذا لا تدعني إذن أنقل رسالتك إليها؟ وما هي الأهمية في تقديم العرض لها بنفسك؟»

فقال: «ذلك بالنسبة إلى شخصية فيكي، فهي لن تصدق شيئاً إلا إذا بسطت لها تفاصيله وأقنعتها بأنها ستستفيد جداً مني.»

«يمكنني القيام بذلك بنفسي.»

نظر إليها بغضب، قائلاً: «لا يمكنك هذا إلا إذا حدثتك بكل شيء عن احوالي المالية وهو ما لا أريده.»

تساءلت سامنتا عما إذا كان ثمة ما يمكنه قوله مما يؤذيها اكثر من قوله هذا، يبدو أن كلاي مازال يفضل عليها فيكي. هل يفعل الزواج بين شخصين مثل هذا بالنسبة إلى أولويات الإنسان؟ أم أنه يعتقد بأن زوجته السابقة تستحق ثقته اكثر من سامنتا؟

قالت بفتور: «فهمت.»

«كلا، انك لم تفهمي شيئاً. إن لدي كرامتي أنا أيضاً، يا

سامنتا. ذلك أن أحوالي إذا ساءت فكل تفكيري ينحصر في مبلغ خيبة الأمل التي ستصيبك إذا علمت بذلك.»

قالت: «لا يمكن أبداً أن اشعر بخيبة الأمل فيك.»

لكن ارتجاف صوتها كان يناقض ما تقول: «كلا؟ وماذا بالنسبة لما حدث في العرس؟»

لم يكن بحاجة إلى توخي الدقة في ذكر ذلك الحادث الذي عنى، وحسب معرفة سامنتا، فقد كان هناك عرس واحد في حياتها، وهو عرس فيكي وكلاي، فحولت عنه عينيها الدامعتين.

قال: «لم اقصد إيلامك. لقد كنت أظن أنني أقوم بالعمل الصواب.»

«أعلم ذلك، لقد حاولت أن أحذرك، ولكن...» وتهدج صوتها.

«ألا تعرفين لماذا رفضت الاستماع إليك؟» فهزت رأسها نفياً.

«كنت ما أزال مصدوماً من نبذك لي. فكري في ذلك. والمرأة التي رفضت الزواج مني ثم هربت بعد ذلك إلى أبعد ما تستطيع، ظهرت فجأة قبل العرس بساعات وأخذت تخبرني بأنه لا ينبغي لي الزواج من العروس التي اخترتها، لأنها لا تصلح لي. تباً لذلك يا سامنتا، ضعي نفسك مكاني، ما الذي كنت ستفعلينه؟»

«لا أدري.»

هز كلاي رأسه برزانة: «لقد كنت ارتبطت بالعهد مع أختك. ظننت أننا نتبادل الحب، وأظن أن ذلك كان صحيحاً إلى حدٍ ما، فقد أحببت أنا فكرة أنني وجدت أخيراً فتاة تشبهك، بينما أحبت هي حسابي في المصرف.»

«إنني آسفة حقاً، لقد أردتك أن تكون سعيداً.»

وسالت دمعة من عينها بصمت، فمسحها كلاي بابهامه وهو يسألها: «لماذا تركتني إذن؟»

نظرت إليه غير مصدقة: «ألم تفهم بعد؟ لقد توقعت منك أن تعثر على فتاة أخرى، أردتك أن تفعل ذلك، ولكنني لم أحسب أنها ستكون أختي.»

ففغر فمه ذهولاً: «إنك تمزحين.»

«كلا، إنني جادة تماماً.»

بدأ الغضب يمتلكه: «أتعنين أنني السبب في أنك غيرت عملك وابتعدت عني كل تلك المسافة؟ ظننت أنك تساعدينني؟»

فقالت: «نعم، هل يبدو هذا غريباً؟»

«غريباً؟ إنه حماقة، كنت أظنك رحلت لأنك فضلت عليّ مهنتك. وإذا بك تأتين بسبب أحمق كهذا.»

«شكراً جزيلاً.»

فصرخ فيها: «لا تشكريني، أنا الذي يجب أن أشكرك فأنا لم أقع فقط في زواج فاسد نتج عنه الطلاق، بل لأنني عرفتكما حقاً أنتما الاثنتين.»

«كفى.» ووضعت راحتيها على أذنيها، ولكنها ما زالت تسمع صدى كلماته في رأسها: «إنني لم أسيء إليك قط.»

«كلا؟ وماذا بالنسبة إلى حملك بهذا الطفل؟ هذا طبعاً ليس من المفاجئات الرائعة التي سرتني.» وسرعان ما ندم على كلماته القاسية تلك. ليس له الحق في أن يغضب منها، لا لشيء إلا لأن كبرياء الرجل فيه قد جرح، وشعر بالألم

وهو يرى العذاب يطل من عينيها، والأسوأ من ذلك هو تلك النظرة العنيفة التي حلت محل ذلك العذاب.

«سامنتا، إنني آسف، ما كان لي أن أقول ذلك.»

كانت قد تمالكت مشاعرها، بفضل خشونته تلك، فاستقامت في وقفتها ثم نظرت إلى وجهه مباشرة وهي تمسح آثار دموعها، وقالت: «إنني مسرورة لما فعلت. أظن أن عليك الذهاب الآن، فقد حصلت أنا على ما يكفي من البهجة اليوم.»

«هل أستطيع الاتصال بك؟»

«لأي سبب؟»

وإذ لم يحصل على جواب كاف لمطالبه التي جاء لأجلها، أولاها ظهره واتجه نحو سيارته.

وقفت سامنتا تحت ظل العريشة تستمع إلى صوت سيارته يبتعد، عند ذلك فارقتها كل عزيمتها مرة واحدة، فارتخت كتفاها وتأوهت بعمق.

شعرت بأن كل ما تريده الآن، هو أن تجلس وحدها وتبكي ما شاء لها البكاء.

ومرة أخرى، دفعت غالياً ثمن تحايلها بالنسبة لجيس. وكان الثمن هذه المرة هو احترام كلاي.

تمتمت: ولكن جيس يستحق ذلك. وأخذت تجر قدميها جرا نحو المنزل، لقد كان كل حرف من هذا الذي قالته صحيحاً، فقد كان جيس حياتها، وهي تحبه أكثر من أي شيء آخر في العالم، فلماذا تشعر وكأن عزيزاً لها قد مات تاركاً اياها للأسى والحزن، عديمة الفعالية لاتكاد تحسن التفكير في شيء؟

دخلت المطبخ وهي تنظر إلى نفسها في زجاج الباب، باشمئزاز بالغ، كان ما يزال بقية عصير الليمون في الابريق وإلى جانبه إناء السكر، وذلك على المائدة حيث تركهما كلاي.

ما أشبه هذين الشيئين الكئيبين بحياتها، ووقفت تفكر في هذه المقارنة، لقد كانت الحياة التي اختارتها مثل هذا العصير غير المحلى... فهي حياة صحية إنما تفتقر إلى أهم المقومات التي تجعله سائغاً شهياً، وأكثر إمتاعاً.

تنهدت وهي تفتح الثلاجة تضع فيه الابريق، ربما ما هي بحاجة إليه هو النظر حولها بحثاً عن شخص ما... شخص هو غير حبيبها الأول... ويمكنه تحلية كوب حياتها. ولكن المشكلة هي أنها لا يمكن أن تتصور أي شخص عدا كلاي، يقوم بذلك.

الفصل الخامس

عمّت الفوضى مشاعر كلاي وهو في طريقه إلى منزله في فيكتورفيل ذلك المساء. كان أكثر ما يزعجه هو انفجاره الأحمق ذاك والذي قد يكون سبّب لسامنتا حزناً لا ضرورة له. ماذا جرى لهما، هما الاثنين؟ ولماذا يتشاجران في كل مرة يتقابلان فيها؟ كان يعلم أنه في أعماقه يحب سامنتا، وربما أكثر من أي وقت مضى. ومع هذا يبدو عليهما دوماً الانفعال والتوتر، ودوماً هما يتشاجران.

ثم هنالك مسألة فيكي. من المؤكد أن لدى سامنتا سبباً لإخفاء مكان أختها عنه هو غير مجرد الرغبة في حمايتها. لقد كانت الطريقة التي اتبعتها لذلك تبعث على الظن بأن فيكي طريدة العدالة أو ما أشبه.

كاد قلب كلاي يتوقف عن الخفقان. هل من الممكن هذا؟ إن فيكي امرأة عنيفة سريعة الانفعال ما يجعل كل شيء ممكناً إذا كان ثمة ظروف خاصة، ولكن هل من الممكن أن تخرج سامنتا على القانون في سبيل حماية أختها؟ ليس ثمة أحد يفوق سامنتا أدامسون في النزاهة. ومن المؤكد انها لن تتخلى عن مبادئها الأخلاقية لأجل صالح أختها.

وقوي اعتقاده بصحة هذه الفكرة كلما زادها تقليباً في ذهنه. ذلك أن سامنتا بصفتها الأخت الكبرى، كانت دائماً هي

www.elromancia.com

الراعية والحامية لفيكي رغم أنهما كانتا هما الاثنتان ما تزالان صبيتين صغيرتين، ومن ثم ليس هناك سبب يجعلها تتوقف عن ذلك لمجرد أنهما قد كبرتا، وبجانب ذلك حيث أنها بقيت الراعية لأختها لمدة ثماني سنوات فهي قد اعتادت، دون شك، أن تكون المسؤولة عنها. فإذا كانت فيكي في ورطة الآن، فإن من الطبيعي أن تحاول سامنتا حمايتها.

وتملك الألم كلاي. إن سامنتا ستوقع نفسها في مأزق كبير إذا هي خرجت على القانون لأجل أختها. وإذا هي زجت بنفسها في خطر جدي ما الذي سيحدث للطفل المسكين جيس؟ ألا تدرك سامنتا أن الطفل يجب أن يكون من أولويات اهتماماتها؟

وصرخ لنفسه، كفى، فتجاوب صدى صوته الخشن في داخل سيارته. ومد يده إلى الهاتف يطلب مكتبه متوقعاً سماع رسالة مسجلة، وإذا بسكرتيرته تجيبه بنفسها.

«جوديث، أنا كلاي. ما الذي تفعلينه في المكتب في عطلة آخر الأسبوع؟»

أجابت: «أعمل. ينبغي أن يكون هناك شخص ما أحياناً لكي يهتم بالعمل.»

فقهقه ضاحكاً وهو يتخيّل وجهها المستدير وشعرها البني القصير وطبيعتها المرحة وابتسامتها ذات المعنى التي يعلم أنها لا بد بدت على شفتيها وهي تؤنبه. كانت قد نشأت بينه وبين هذه المرأة المتوسطة السن على طول المدى علاقة مودة واحترام مشترك جعل من العمل معاً شيئاً ساراً وسهلاً.

قال لها: «ما زلت أقوم بالمسح الميداني.»

«حسناً، إنما أخبرني هل وجدت زوجتك السابقة؟»

«كلا. وهذا هو سبب اتصالي بك. أريدك أن تتصلي بديك راسموسن وتعيني موعداً لاجتماعي به في أسرع وقت ممكن.»

«ظننتك لن تكون بحاجة إلى مخبر خاص. ماذا حدث بالنسبة إلى طلب العون من أخت زوجتك؟»

«كان ذلك دون جدوى، فقد اقسمت سامنتا أنها لا تعلم مكان أختها. ولكن لسانها زلّ إذ قالت إنها ستوصل اليها رسالة مني. وهذا غير معقول إذا كانت لا تعلم مكانها.»

«إن باركر يريد أن يراك لأجل إنهاء المتاجر فهم مستاؤون للتأخير. وعلماء البيئة يصرخون بالنسبة إلى تدمير موطن حيوان الكانغارو كما أن ألفاري يريد أن يعلم متى يمكن لطاقمه أن يبدأ في تمهيد طريق...»

فقاطعها: «راسموسن أولاً. اتصلي به إلى بيته إذا استدعى الأمر. فإذا وجد فيكي فإن نصف مشاكلي ستحل.»

«ولكن ماذا عليّ أن أخبر الهنود الحمر؟»

«تخبرين من؟»

«كنت أحاول أن أشرح الأمر. إن مفاوضاً من سكان اميركا الأصليين يريد أن يتحدث إليك عن مدافن قديمة موجودة في حدود انشاءاتنا سيكامور.»

تمنى كلاي لو كان لديه بعض الأسبرين: «لا بأس، يمكننا كذلك الاستفادة من هذا التأخير. استدعي عالم آثار قديمة من الجامعة ثم أرسليه إلى الحقل حيث الأهالي. أخبريهم

بأن يكشفوا عما يرغبون منه واعرضي عليهم تأجيرهم ما يحتاجون إليه من معونة. ولا تدعي باركر يثرثر كثيراً. إن آخر شيء نريده هو أن تتضرر سمعة متاجرنا بسبب هذا.»

«حسناً، أتريد شيئاً آخر؟»

«اتصلي بالفاري واعتذري إليه واخبريه أنه قد يمضي شهر على الأقل قبل ن نبدأ العمل.»

«وماذا عن أولئك المتشككين؟»

«أخبريهم... لا بأس. سأخبرهم بنفسي عندما أرى آخر خريطة لمسح الأرض.»

سألته: «أين يمكنني الاتصال بك؟»

«إلى سيارتي بالنسبة إلى الساعتين التاليتين، وبعد ذلك سأكون في بيتي محاولاً أن أحصل على قسط من النوم قد يمكنني بعده التفكير بوضوح في أين يمكن أن أجد زوجتي السابقة.»

«سأستعجل الأمر بالنسبة إلى راسموسن. إذ يبدو أنك فعلاً بحاجة إليه.»

«أرجو ألا أبدد نقودي دون فائدة.»

اتصلت به جوديث في ساعات الصباح الباكر. وكانت الشمس قد ابتدأت تنير قمم الجبال. وإذ أراد الاستفادة من المناظر الطبيعية، فقد بنى منزله بشكل يبقيه في الظل حتى الظهر تقريباً، وهذا يعني شيئاً كثيراً بالنسبة لكون المنزل في الصحراء، خاصة في فصل الصيف.

مرّ بيده على لحيته النابتة وهو يجيب على الهاتف في المطبخ.

«هالو.»

أجابت جوديث: «صباح الخير. أرجو أن تكون مستيقظاً لأن راسموسن سيكون عندك بعد عشر دقائق.»

«إنني مستيقظ. شكراً لك، هل هنالك شيء آخر؟»

«لا شيء مستعجلاً. لقد تكلمت مع الهنود الأميركيين إلى أن اقنعتهم، وهذا أسكت أولئك الثرثارين. هل نمت جيداً؟»

تنهد قائلاً: «بشكل ممتاز.» ونظر من النافذة إلى الصخور الرمادية خلف منزله.

«هل أخبرت ديك عما أريده منه؟»

«فكرت في أن من الأفضل أن تخبره بنفسك. أخبرته فقط أنك أصبحت بالغ التوتر بالنسبة لما حدث مؤخراً، وتريد نجدة.»

«ليس الأمر بهذا السوء.» ومدّ يده إلى علبة المكسرات يتناول منها. لا بد أن سامنتا كانت ستصاب بنوبة لو أنها رأت ما يتكوّن منه فطوره. شكر سكرتيرته ثم أقفل الهاتف.

تناول شيئاً من المكسرات المحلاة وهو يبتسم، ها هو ذا، يبعد عن ردلاندز أميالاً وما زالت سامنتا تحتل أفكاره طوال الوقت. سكب لنفسه فنجاناً كبيراً من القهوة، ثم أخذ صينية فطوره إلى غرفة مكتبه، حيث أزاح عن المكتب الملفات والأوراق المكدسة ثم وضع الصينية مكانها وجلس على مقعد جلدي خلف المكتب، ومضى يرشف قهوته.

وبينما كان بقية المنزل نظيفاً للغاية، وذلك بفضل شركة تنظيف، فإن مكتبه لم يكن مسموحاً لأحد بالدخول إليه.

www.elromancia.com

وبمعنى آخر، كان عديم النظام، وكان كلاي يحبه بهذا الشكل. كان طاقم التنظيف قد نظم مكتبه مرة، فاستغرق منه العثور على كل ورقة كانوا نقلوها من موضعها، استغرق ذلك أسابيع منه.

وعندما كان يرتشف فنجانه الثاني، سمع طرقاً على بابه فذهب ليفتحه مبتسماً وهو يحيي صديقه القديم.

كان المخبر السري الدمث الطباع يبدو وكأنه رجل متوسط السن من أنصار كرة القدم الذين يقضون عطلات نهاية الأسبوع أمام التلفزيون وأمامهم صينية البيتزا. كان كلاي يعلم أن الرجل فخور بمظهره الذي لا ينم عن حقيقته التي يخفيها بملابس متواضعة أقرب إلى الرثاثة، هذا إلى سلوك عفوي.

اتسعت ابتسامته وهما يتصافحان: «مرحباً يا ديك.»

ضحك راسموسن: «أخبرتني جوديث أنك في حالة يأس. ما هي المشكلة؟»

قدم إليه كلاي فنجان قهوة، ثم مشى أمامه عائداً إلى غرفة المكتب. وعندما أنهى سرد كل تفاصيل لقائه مع سامنتا، هز راسموسن رأسه: «وما الذي تريدني لأجله؟ يمكنك أن ترى عنوانها في دليل الهاتف، كما أفعل أنا تماماً.»

«لقد قمت بذلك.» وقف كلاي وأخذ يذرع الغرفة: «لقد قمت بكل الاجراءات المعتادة. إنني أريدك قبل كل شيء، ان تتحرى عما إذا كانت سامنتا تعرض نفسها للخطر وذلك بحمايتها لأختها.»

«هل تظن أن زوجتك السابقة مطلوبة للعدالة؟»

«ربما. فأنا لا أستطيع تصور أي سبب آخر لرفض سامنتا مساعدتي.»

«ماذا عن الغيرة؟»

فهز كلاي رأسه: «كلا. إنها ليست من ذلك النوع.»

وعاد ليجلس مرة أخرى بجانب الرجل ثم خفض من صوته رغم أنهما كانا بمفردهما: «هناك شيء آخر. أريدك أن تتصل بالمستشفيات في سان فرانسيسكو لتعلم متى انجبت سامنتا لويس أدامسون إبنها، ومن هو والد الطفل.»

«هل لهذا أي صلة بعثورنا على فيكي؟»

أجاب كلاي: «كلا. هذه المعلومات الخاصة هي لأجلي فقط.»

فقال الرجل وهو يسجل ملاحظاته في دفتر: «هل أنت متأكد من أن هذا حدث في تلك المنطقة؟»

«نعم، أكثر من سنتين بقليل.»

«هل رأيت الطفل؟»

«بالصدفة.» ومال إلى الأمام مشبكاً يديه معاً: «أظن أن سامنتا شعرت بالخزي لحملها هذا ولم تكن تريدني أن أعلم به.» ونظر إلى الرجل وهو يبتسم: «إنه طفل رائع.»

«هل أنت وأمه على وفاق؟ هل هذا هو السبب في أنك تريد معرفة هوية الأب؟»

«كلا. إن سامنتا تكره فكرة الزواج مني دون أن أعرف السبب. إنها أم عظيمة، وإن تكن متساهلة قليلاً. أظن ذلك بالنظر إلى موت والديها في طفولتها.»

«متى تريد نتيجة هذه التحريات؟»

«كنت أريد هذه المعلومات أمس.»

فنهض الرجل يودعه قائلاً: «هذا ما كنت أخشاه.»

* * *

حاولت سامنتا لأيام عديدة، الاتصال بأختها وذلك بترك رسائل هاتفية لها في آلة التسجيل الهاتفية ولكن دون جواب كانت تنظر بشغف إلى جيس وهو يلهو بجهاز بلاستيكي للإطفاء وذلك على السجادة في غرفة مكتبها، حين خطر لها أن تقوم بزيارة إلى أختها، ولكنها عادت فنبذت هذه الفكرة التي اعتبرتها حمقاء، ذلك أنها في المرات القليلة التي أخذت فيها جيس لكي يرى أمه الحقيقية، كانت فيكي تصرفت نحوهما وكأن وجودهما عبء ثقيل عليها. والآن بما انها تعيش وتسافر مع خطيبها ماك ماكال مغني الروك الناجح، فإن الوسيلة الوحيدة التي تستطيع فيها سامنتا اقتفاء أثر فيكي، هو متابعة تحركات فرقته وبرنامج رحلاته.

كانت الفرقة قد عادت حديثاً، وهي تقدم عروضاً في المنطقة ولا بد أن فيكي موجودة في الولاية الآن في منزل ماك الأساسي دياموندبار، فإذا كان هذا صحيحاً، فإن السبب الوحيد لعدم استجابة فيكي لرسائلها المتتابعة التي سجلتها في جهاز التسجيل الهاتفي هو أنها لا تريد أن تجيب.

وتنهدت سامنتا. آه، ربما أن رغبة فيكي في الابتعاد عن جيس هي فكرة جيدة. إن عدم معرفة الطفل بوالدته الحقيقية فيكي هو أمر سيء جداً، ولكن هذا الابتعاد في نفس الوقت يخفف من خيبة أمله فيها.

رفع جيس نظراته إليها قائلاً: «ماما. هل تبكين؟»

«كلا يا حبيبي. أنا لا أبكي.» ومالت إلى الأمام فاتحة له ذراعيها فاندفع نحوها يحتضنها بينما كانت تتابع: «لقد دخل شيء في عيني.»

«هل تؤلمك؟»

«قليلاً فقط.»

أشرق وجهه بالابتسام، ولمعت عيناه بفكرة: «إن عمي كلاي سيعالجك.» وأمسك ركبته بيده يتفحصها: «لقد سبق وعالج ركبتي. انظري.»

كان الضماد قد انحل عن ركبته. فأمسكت به سامنتا تعيد ربطه قائلة: «معك حق. انها أحسن الآن.»

وازدادت الدموع في عينيها وهي تتذكر مبلغ ما كانا عليه معاً من انسجام وروعة كرجل وصبي. لو أن منطق جيس البسيط كان صحيحاً فقط، لكان بإمكان كلاي أن يعالج كل شيء.

وقف جيس على أطراف أصابعه واضعاً ذراعيه حول عنقها: «لا تبكي يا ماما.»

وقفت وهي تركز جيس على وركها: «إنني بخير يا حبيبي. إن عناقك جعلني أتحسّن. سأكون بخير. أعدك بذلك.»

وفكرت في كلاي. ما الذي جعلك تعود إلى حياتي؟ وكيف سأستطيع التخلص منك مرة أخرى؟

سارت حاملة جيس نحو مكتبها حيث تناولت سماعة الهاتف وأدارت رقم أختها مرة أخرى.

أجابها جهاز التسجيل. واقشعر جسد سامنتا. إنها هذه

المرة ستدع كل تكلف وتهذيب وتقول كل شيء: «هذا أنا أختك، يا فيكي. هل تذكرينني؟ يجب ان اتحدث إليك. إنها مسألة حياة أو موت. اتصلي بي، أرجوك. إنها الرسالة الرابعة أو الخامسة التي وضعتها لك...» وانقطع الخط فوضعت السماعة بعنف واشمئزاز.

وتمتمت: «أوه يا جيس، ماذا أفعل؟»

أجابها جيس على الفور: «أخرجي والعبي.» وترك عناقها وهرع نحو الباب. سمعت وقع خطواته تتباطأ وهو يجتاز القاعة إلى المطبخ صافقاً الباب خلفه.

قالت متذمرة: «طبعاً، اخرج والعب. كم أتمنى لو كانت حياة الكبار بهذه السهولة.»

كانت قد وضعت جيس في فراشه، وجلست أمام الكمبيوتر محاولة أن تحوّل قصة مملة عن مرض يصيب أشجار الدردار في هولندا، إلى حكاية ممتعة، عندما رن جرس الهاتف. فاختطفت السماعة وقد تأكدت من أن فيكي هي المتصلة بناء على طلبها هي.

«آلو، إنه الوقت المناسب.»

جاءها صوت كلاي: «الوقت المناسب لماذا؟»

«آه، أهذا أنت؟»

«حسناً، لا تدعي الحماس يتغلب عليك وإلا ظننت أنني وأنت ما زلنا صديقين.»

«ولكننا صديقان فعلاً.»

«آه، حقاً؟»

«ما معنى هذا؟» كانت تشعر بتعب بالغ كما أن طاقتها على التركيز كانت معدومة.

«لقد تحدثت لتوي إلى صديق لي.»

«هذا شيء حسن بالنسبة إليك، إذ من المدهش أنه مع سلوكك هذا، ما زال لديك أصدقاء.»

«أشكرك لثقتك هذه. ألن تسأليني عما أخبرني به؟»

حبست أنفاسها، إذ خشيت أن يكون قد عثر على فيكي وأخبرته هذه بحقيقة عن جيس، قالت: «كلا في الواقع.»

«حسناً، سأخبرك على كل حال. لقد اتصل بدائرة النفوس في سان فرانسيسكو.»

«هكذا إذن؟»

«وبدا من المؤكد أن سامنتا لويس أدامسون ولدت طفلاً ذكراً منذ حوالي سنتين.»

«ليست هذه مفاجأة لك، فقد قابلته.»

سكت هنيهة يختار كلماته قبل أن يقول: «يبدو أن الآنسة أدامسون رفضت الإدلاء باسم والد الطفل.»

«هذا من حقها.»

«ولكن لماذا؟ إلا إذا لم يكن لديها فكرة عمن هو ذلك الرجل المحظوظ.»

كان يستدرجها آملاً أن تساعده، فحيث أنها سبق واعترفت له بأنها قد أحبت والد جيس، فهي تعلم طبعاً من يكون.

وكان على سامنتا أن تبذل جهداً بالغاً لكي تمنع نفسها من أن تصرخ فيه أن يهتم بشؤونه الخاصة.

وتابع كلاي: «مهما تكن حقيقته، فعليه أن يساعدك في اعالة جيس. إن على ذلك الوغد الأناني أن يدفع ثمن غلطته هو أيضاً.»

www.elromancia.com

«ما الذي جعلك تعتقد أن جيس كان غلطة؟»

كان صوتها قد ارتفع بالرغم منها: «لقد كنت أريده منذ البداية، عالمة أنه اثمن هدية لي، فكيف تجرؤ على التقليل من شأن هذا؟»

رد عليها بحدة: «انتظري لحظة. لم يكن هذا قصدي، افرضي أن شيئاً حدث لك، أو أن الطفل احتاج شيئاً فوق مقدورك، ماذا ستفعلين؟ إن جيس طفل رائع. فلماذا يحرم من أسباب الراحة في حياته لا لشيء إلا لأن كبرياءك أو عنادك يمنعك من الإدلاء باسم أبيه.»

«هل انتهيت من حديثك؟»

«أظن ذلك.»

تنفست بصعوبة وهي تقول: «هذا حسن، إذن أكون شاكرة لو خرجت من حياتي إلى الأبد.»

«وماذا بالنسبة إلى جيس؟»

«ماذا بالنسبة إليه؟»

«الأبوة. إنك ستلاحقينه، أليس كذلك؟ ثمة مخبر جيد أعرفه يمكنه أن يعثر عليه إذا كنت لا تعلمين مكان والد جيس. إن اسمه ديك راسموسن وهو ماهر جداً.»

«هل لك أن تسكت؟»

«إذا كان المال هو المشكلة، بإمكان راسموسن أن يحاسبني. ليس لديّ مانع.»

فقالت وقد بلغ بها الغضب أشده: «حسناً، لديّ أنا مانع. اسمع يا كلاي، سأحاول أن أشرح لك الأمر مرة أخرى. إنني سأربي ابني بنفسي، وعلى الطريقة التي خططتها على الدوام. إنني لا أريدك أن تقوم بالبحث عن أبيه، وأنا سأنكر

كل شيء حتى ولو وجدت من تلصقه به... هل هذا واضح؟»

«واضح تماماً.» وسكت ينتظر منها تحية الوداع بكل رقة، ولكنه لم يدهش حين سمع، بدلاً من ذلك تقفل السماعة في وجهه.

تحول نحو مكتبه حيث جلس متكئاً على كرسيه المفضل وهو يفكر كم سيمضي من الوقت قبل أن يعثر راسموسن على فيكي. وحتى الآن، كل أبحاثه أكدت له أنها غير مطلوبة من العدالة.

www.elromancia.com

الفصل السادس

عندما أقبل يوم الجمعة، كان الخبر الجيد هو أن عالم الآثار لم يجد أياً من عظام قدماء السكان الأصليين في نطاق المساحة التي تحتوي على انشاءات سيكامور.

أما الخبر السيء فهو أن راسموسن لم يعثر على فيكي، وقد استنتج أنها اما غيرت اسمها، واما رحلت عن الولاية.

وحيث أن الرأي الأخير كان غير محتمل، حسب رأي سامنتا، فقد افترض كلاي أن زوجته السابقة لها علاقة مع أحدهم، فتنفق بذلك على نفسها من حسابه بدلاً من انفاق نقودها. فهذه هي شخصيتها. وكانت من التقلب وعدم الشعور بالمسؤولية بحيث لم تعبأ بتغيير عنوانها في رخصة القيادة منذ كانا متزوجين.

وقطب حاجبيه. إن المرء ليظن انها تخفي نفسها عمداً فقط لكي تحبط أعماله. كان ديك ما يزال يفتش عنها، ولكن سير الأمور يشير إلى أن أي نتيجة إيجابية ربما لن يصل إليها إلا بعد فوات الأوان.

ودون وعي منه، توجه إلى منزل سامنتا لآخر مرة. كان يريد أن يرى إذا كانت ما زالت راغبة في الاتصال بفيكي لأجله. وإلا سيكون عليه اعلان افلاسه، ثم يستخلص ما يمكن استخلاصه من أمواله، ثم ينسحب إلى مكسيكو إذ يكون انتهى من وست كوست هذه.

وإذ دخل شارع تشيناي، أبطأ قليلاً، فقد شاهد سامنتا من بعيد تسير على جانب الشارع ومعها جيس.

كانت هذه ضربة حظ حسنة بالنسبة إلى كيفية مرور بقية الأسبوع.

أوقف سيارته بجانب سامنتا، ثم أنزل زجاج نافذته: «مرحباً.»

نظرت إليه وقد ارتسم على وجهها التوتر والضيق، ثم تابعت سيرها.

«إنه يوم جميل.»

فتجاهلت هذه المقدمة، ولكن جيس استدار وأخذ يحدق فيه بينما كان الجميع يتابعون السير.

سأله كلاي دون أن يتوقع جواباً في الواقع: «مرحباً.»

أشرق وجه الطفل بالابتسام وهو يجيب: «مرحباً.»

«كيف حالك؟»

«لا بأس.»

بقي كلاي يسير بالسيارة متمهلاً يساير خطوات سامنتا: «هذا حسن. كيف حال أمك؟»

استدار ينظر إلى أمه وكأنه يعجب لعدم تحدثها مع هذا الرجل الذي تعرفه، هي أيضاً، ثم قال: «لا أدري.»

وإذ وصلوا إلى زاوية، وقفت سامنتا تنتظر الإشارة الخضراء، ثم اجتازت الأسفلت الأسود إلى حيث السوق.

وعندما أصبحت هناك، دخلت إلى متجر للأغذية قبل أن يتيسر له ايقاف السيارة في مكان خال.

وعندما دخل هو أيضاً المتجر كانت هي قد وضعت جيس في عربة التسوق. فسحب عربة هو أيضاً كيلا يبدو

مظهره شاذاً عن غيره، ثم دفعها أمامه إلى أن وجدهما.

أشرق وجه جيس حالما رآه، وهتف به: «مرحباً.» بينما أسرعت سامنتا تستدير حول زاوية هناك، وذلك بحركة متعمدة، فما كان من كلاي إلا أن استدار هو أيضاً. وعندما أصبح على بعد حوالي الخمسة عشر قدماً، سمع جيس يضحك ورآه يشير إليه من خلف ظهر أمه.

ومرة أخرى، قامت سامنتا بحركة تهربية، إذ في الوقت الذي وصلت فيه إلى قسم الخضر والفاكهة، كانت قد أخذت تلهث بعد أن جالت داخل المتجر راكضة. وإذ حشرها كلاي بجانب وعاء كبير يحتوي على بطيخ، وضع قدمه على أسفل عربة التسوق، ثم انطلق نحوها مجتازاً المسافة القليلة الباقية. «مرحباً. تصوري أن نتقابل هنا.»

عبست في وجهه وقالت: «هل تريد المزيد من اللعب؟ سأعطيك إشارة البدء.»

«كلا، شكراً.»

أرضاه ذلك ما دامت عادت تتحدث إليه، وتابع قائلاً: «لا بأس، ربما فيما بعد.»

وضحك جيس: «مرحباً يا عمي كلاي.»

«مرحباً أيها الطفل. هل تضع حولك حزام النجاة؟» نظر جيس إلى الحزام الضيق الأحمر الذي يلتف حول وسطه بإحكام، ثم أومأ برأسه برزانة.

«هذا حسن، لكي لا تصطدم بأحد عند هذه المنعطفات.»

فلمعت عينا الطفل الكبيرتان: «أحب أن أتسابق، يا ماما.»

«ليس الآن يا حبيبي.» وحولت سامنتا اهتمامها إلى كلاي

كلياً: «حسناً؟ لقد تكبدت مشقة لكي تدركني. ماذا تريد الآن؟»

نظر إلى ملابسها وقال: «تبدين جميلة جداً اليوم.»

قالت: «أرجو ألاّ يكون هذا سبب لحاقك بي.»

«كلا، ليس هذا لسوء الحظ. إن مخبري الخاص لم يستطع العثور على أختك.»

«هل هنالك شيء جديد؟»

«ليس الكثير، ما عدا أنني اتسابق مع الوقت. إذا كنت ما زلت على تصميمك، فسأعطيك رسالة مني إليها.»

«هذا عظيم منك.»

هز كتفيه: «نعم، أعرف ذلك، فأنا مغفل. والآن، إذا أنا قدمت عرضاً مكتوباً، هل تسلمينه لها؟»

فلم تملك إلا الشعور بالأسف لأجله. إذ أنه، بعد ذلك العناد الذي ظهر منه في رفض اقتراحها هذا من قبل، لا بد أنه الآن في حالة من اليأس جعلته يعود إلى فكرتها تلك لتكون واسطة بينهما.

هذا إلى أنها اعترفت لنفسها بأنه يبدو رائعاً للغاية فقد جعلها غيابه عنها الأسبوع الماضي تشعر بالوحدة كما لم تشعر بها من قبل. ومصادفتها له في الشارع الآن غمرتها بمشاعر من البهجة رفعت من معنوياتها بشكل عنيف.

وقفت تتفرس فيه. كانت خصلة من شعره القاتم ساقطة على جبهته، كما كانت عيناه تتألقان بشكل آخّاذ، بينما ارتسمت على شفتيه ابتسامة خفيفة، وفي أوقات كهذه عندما كان يرتدي ثياب العمل الخفيفة، تبعاً لحرارة الجو، كان يبدو لها تماماً ذلك الفتى الحدث الذي أحبت، فكان من الصعب عليها ان تصدق أنه كبر الآن.

أخذت تحدث نفسها أن من الأفضل أن تتذكر ذلك. فهو بعد أن أصبح رجلاً بات اكثر خطورة على مستقبلها وسعادتها من أي وقت آخر، ولكن الشعور بالذنب غمرها بالنسبة إلى سعادة كلاي في المستقبل. إذ أن حرمانه من ولده ليس عدلاً، إنما ما الذي بإمكانها أن تفعله؟ منطقياً، من الحماقة أن تسمح له بتوطيد العلاقة مع الطفل. وأخلاقياً؟ حسناً، إن هذا هو الجانب الآخر من السؤال. لقد كانت أمضت القسم الأخير من طفولتها دون أبوين يحبانها ويعتنيان بها، فذكريات ذلك النوع من الوحدة لم تبارحها قط.

ربما كان هذا هو السبب الذي دفعها إلى حصر حنانها كله في جيس، كما رأت سامنتا. وربما كان هو أيضاً ما دفع قلبها إلى الإصرار على أن من حق كلاي أن يتعرف إلى إبنه بشكل أفضل قليلاً، حتى ودون أن يعلم أبداً أنه إبنه.

وأخيراً قالت موافقة تماماً على طلبه المعقول، لتعجّل بذلك في ابتعاده: «تعال للعشاء معنا في البيت هذا المساء وأحضر معك الأوراق. عند ذلك نتحدث في الأمر.»

فتنفس بارتياح: «شكراً.» وابتسم لجيس، ثم سأل: «هل يمكنني أن أحضر معي شيئاً؟ عصير؟ زهور؟ بسكويت؟»

أجابت ضاحكة: «هذا ليس ضروري، فسأعد كل شيء. تعال فقط في الساعة السابعة وأحضر لي توكيلاً بقضيتك، فإذا أنا رأيت أنها في صالح أختي، فسأنقل إليها رسالتك.»

«هل ذلك سيأخذ منك وقتاً طويلاً؟»

نظرت إليه بارتياب: «ألا تسكت أبداً؟ أتظن أنني غبية لا

أدرك أنني كلما اخبرتك اكثر، أصبح الأمر اكثر سهولة بالنسبة إليك للكف عن استغلالي كلياً، ومن ثم تفتش عن فيكي بنفسك؟»

«لا يمكنك لوم رجل يقوم بالمحاولة.»

«بل يمكنني، وأنا ألومه. فانتبه إلى أن تكون مستقيماً معي وإلا انتهى تعاملنا معاً.»

رفع حاجبه، ثم قال محيياً: «هل هناك شيء آخر؟»

«نعم، ما رأيك في إبعاد عربتك هذه عن طريقي وتركي أنهي تسوقي؟»

فقال وهو يلوّح بيده لجيس: «إلى اللقاء هذه الليلة، إذن.» فرد عليه جيس إشارته الودود هذه بينما أخذت سامنتا تتساءل عما إذا كانت هي الوحيدة التي لاحظت مبلغ تشابههما في الشكل والحركات، وذلك بالنسبة إلى الشعر، والعينين، والابتسامة حتى أبسط التصرفات. ولم تستطع أن تفهم كيف يمكن لأي شخص يملك قوة الملاحظة، أن يغفل عن هذا التشابه الواضح.

سألتها إليانور وقد بدا عليها الحماس: «إذن، فهو قادم لتناول العشاء؟»

«نعم.» وكانت سامنتا تمسح أرض المطبخ بينما جارتها الثرثارة متكئة إلى الباب تراقبها.

«لا يبدو عليك البهجة كما كنت أشعر لو كنت مكانك.»

قالت سامنتا كاذبة: «لا شيء يدعوني إلى البهجة.»

هذا بينما ضربات قلبها تتلاحق وهي تتصور كلاي جالساً إلى مائدتها يأكل معها ومع جيس، وذلك كأي أسرة سعيدة وهذا شيء كما تعلم، مستحيل تماماً، فلماذا لا تفتأ

تتخيل كلاي وكأنه جزء متمم لحياتها؟ ولماذا تقوم بتعذيب نفسها بهذا الشكل؟ ثم ما الذي جعلها تدعوه إلى العشاء في حين يكفي اجتماع عمل بسيط؟ ويكفي أن جيس قد أصبح مبهوراً بالرجل إلى حد مخيف. إن تشجيع ما يتفاعل بينهما هو حماقة واضحة، ومع هذا فإن شعوراً مبهماً كان يدفعها إلى إفساح المجال لهما لترسيخ علاقتهما معاً، بدا وكأن ضميرها وقلبها قد انضما معاً إلى إجبارها على التصرف ضد الناحية المنطقية عندها، ثم نجحا في ذلك، موقتاً على الأقل.

أنهت مسح الأرض، وكانت إليانور ماتزال واقفة وعلى فمها ابتسامة راضية. «إذن، فإنك غير مهتمة لحضور ذلك الرجل إلى العشاء...»

قالت سامنتا: «هذا صحيح.»

قالت إليانور بنظرة ماكرة: «فلماذا إذن أدخلت الممسحة إلى مكانها في غرفة المؤونة؟ لا تخبريني بانك ابتدأت تضعين الممسحة هناك طوال الوقت.»

«إنني لم...» ولكن سامنتا أدركت انها قامت بذلك فعلاً.

قالت عابسة: «لا بأس. ربما أنا اليوم على غير عادتي. فقد مر علي اسبوع صعب. فالمقالتان، الأخيرتان اللتان كتبتهما لجريدة اكسبريس مزقهما رئيس التحرير إرباً، والمقالة التي قبلهما رُفضت أيضاً.» وشرعت تغسل خسة في الحوض. «حتى انني افكر احياناً انه كان من الأفضل ان اشتغل بحفر أقنية الري.»

«أو كاتبة في بقالة. لقد كان أبي دوماً يقول انني صالحة لهذا العمل، ولكنني قررت ان الأولاد هم اروع ما في الحياة.

ان كثيرات من النساء يكرهن الأمومة والمكوث في البيت، ولكن صدقيني أنني أحب ذلك كثيراً.»

قالت سامنتا باسمة: «وأنا أيضاً، فأنا لا أدري ما كنت لأفعله لو لم يكن عندي جيس.»

«نعم، أدرك ما تعنين.» وتقدمت إليانور إلى الثلاجة تفتح بابها. «هل لديك علبة كولا؟»

«انها في باب الثلاجة. ناوليني صندوق الطماطم، أيضاً، من فضلك. فأنا ساصنع السلطة من الآن كي لا تشغلني في آخر لحظة.»

ضحكت إليانور وهي تضع الطماطم في حوض الغسيل. «اين ستضعينها عندما تنتهين منها؟ في خزانة المكنسة؟»

«هذا مضحك.»

«هذا ما ظننت.» اسندت جنبها إلى المنضدة وأخذت تشرب الكولا. «هل لديك ما اساعدك فيه؟ ما عدا غسل النوافذ، فأنا لا أحب ذلك.»

قالت سامنتا: «وأنا أيضاً لا أفكر في ذلك، ولا أدري كيف سيكون عليه هذا العشاء، ربما ساطلب فقط بيتزا مع كل ملحقاتها ولن أقوم بطهي شيء.»

قالت صديقتها وهي تلقي بعلبة الكولا الفارغة في القمامة ثم تتحول لتنصرف: «إلى اللقاء فيما بعد.»

«نعم، ربما غداً.»

في الوقت الذي وصل فيه كلاي حاملاً باقة من الأقحوان رغم اصرارها عليه ألاّ يحضر معه شيئاً خاصاً، كانت سامنتا قد اعدت عشاء يكاد يكون عادياً.

كان الدجاج المقلي مطهواً بالطريقة التي يحبها، وكذلك

البطاطا المحمرة. كما ان السلطة التي كانت نسيتها لمدة ساعات خارج الثلاجة، كانت ما تزال صالحة.

«تفضل بالدخول». قالت له ذلك راجية في أن تكون نجحت في إخفاء ما بدا عليها من اضطراب لرؤيته، فقال وهو يناولها باقة الزهور: «شكراً، هذه لك.» وحين سمع جيس صوته، جاء راكضاً متوجهاً نحوه مباشرة فاتحاً ذراعيه. فانحنى عليه كلاي يحمله: «مرحباً يا جيس. هل كنت ولداً مطيعاً هذا النهار؟»

فأومأ الطفل: «نعم. عندي شاحنة نارية، هل تريد رؤيتها؟»

«طبعاً.» واستجاب للطفل عندما تلوى هذا بين يديه فوضعه على الأرض وأخذ ينظر إليه بشغف وهذا يركض بسرعة ليحضر لعبته. ثم استدار إلى سامنتا قائلاً: «يا له من طفل رائع.»

«نعم، إنه كذلك.»

«تبدين جميلة جداً اليوم.»

قالت: «شكراً، وأنت كذلك.» نطقت بهذه الكلمات قبل ان تدرك مبلغ سخافتها.

عندما عاد إبنها يقف بينهما يعرض عليهما لعبته متحمساً، قالت: «ان العشاء جاهز. لمَ لا تذهبان، انتما الولدان، لتلعبا بهذه اللعبة بينما أضع الطعام على المائدة؟» وحملت باقة الزهور وتوجهت إلى المطبخ.

«سأحضر لمساعدتك.»

فوقفت سامنتا، قائلة: «لا ضرورة لذلك.» وتابعت تحدث نفسها، اذهب والعب مع ابنك، فربما كانت هذه آخر فرصة لك لهذا.

فهز كلاي كتفيه: «لا بأس. إذا كان هذا ما تريدينه.» وعندما رأته واقفاً مع جيس يتفرج هادئاً على اللعبة، شعرت بغصة تخنقها واغرورقت عيناها بالدموع. آه، ما أروعهما معاً، الوالد وابنه.

ابتعدت رافعة الرأس، متحدية الحقيقة الواضحة، ثم سحبت نفساً عميقاً ممزقاً. هذه الليلة ستكون آخر مرة تسمح فيها بهذا النوع من الحماقة. قد يحب كلاي وجيس بعضهما بكل اخلاص، مشبعين، بذلك، حاجة مشتركة، ولكنها لن تطيق رؤيتهما معاً بعد الآن، ولكن حقهما في ذلك كان بالغ الإيلام لها.

www.elromancia.com

الفصل السابع

ما أن أعلنت سامنتا أن العشاء أصبح جاهزاً، حتى أمسك كلاي بيد جيس إلى الحمام لكي يغسلا أيديهما قبل الأكل، وعندما عادا، كانا من الاختيال والسرور إلى حد لم يناسبها.

أمسك كلاي الكرسي لها لتجلس، بينما تسلق جيس مقعده العالي بصعوبة. كما جلس كلاي ونشر المنشفة على ركبتيه.

عبس جيس طالباً منشفة لنفسه هو أيضاً، فقالت له سامنتا: «إنك ستسقطها عن ركبتيك كالعادة، وأنا سأمسح لك فمك عند الحاجة.» وابتدأت تضع له الطعام في صحنه بكميات صغيرة، مقطعة بنفسها الدجاج له.

ولكن جيس، بدلاً من أن يأكل، مط شفته السفلى غاضباً، وبقي كذلك إلى أن استطاع أن يعتصر دمعتين من عينيه المغمضتين. فقال له كلاي وهو يناوله منشفته: «يمكنك أن تأخذ منشفتي.»

تدخلت سامنتا برفع حاجبيها ملقية على كلاي نظرة ثائرة، ففهم الرسالة، فقال وهو يستعيد عطاءه لجيس: «آسف يا جيس، الحق مع أمك. كل أنت وعلى أمك الباقي.»

فقالت: «شكراً، يا سيد اليس.»

«أهلاً بك، يا آنسة أدامسون.»

بدا جيس مسروراً للتهكم الذي ساد بينهما، لأنه نسي

على الفور استياءه، موجهاً اهتمامه إليها، ثم انفجر ضاحكاً.

مدت سامنتا طبق الدجاج إلى كلاي، قائلة: «أظنك أحضرت معك الأوراق التي تريدني أن أوصلها إلى أختي.»

«نعم، إنها في حقيبة أوراقي في السيارة، فقد ظننت أننا قد نجلس بعد العشاء في الشرفة أمام الباب، فأحدثك عن كل دقائق الموضوع ونحن جالسان على الأرجوحة كما كنا نفعل من قبل.»

الأرجوحة؟ طالما جلسا عليها في الماضي البعيد، كتلك الليلة قبل أن يترك كلاي الكلية. وكالعادة، دخلا في موضوع أختها غير المنضبطة.

لقد سألها كلاي في ذلك الحين: «هل تظنين حقاً أن بإمكانك تولي زمام أختك؟»

«بإمكاني ذلك طبعاً. فما هي إلا فتاة صغيرة حمقاء. فحالتها هذه موقتة. وقريباً جداً ستهدأ وتستقر.»

«وماذا ستفعل بعد ذلك؟ هل ستنفقين عليها بقية حياتها؟»

«كلا طبعاً. فهي ما تزال في الخامسة عشرة، وأمامها سنوات تقرر فيها المهنة التي ستزاولها في المستقبل.»

لقد سألها كلاي عند ذاك: «وأثناء ذلك، ماذا بالنسبة إلى حياتك، أحلامك، مهنتك؟»

«إن فيكي بحاجة إليّ، فأنا كل من لها في الحياة، سيكون لديّ فيما بعد وقت كافٍ أدخل فيه الكلية. فإذا كنا نعمل نحن الاثنتين، ربما نتعاون على تحقيق ذلك.»

لقد ضحك كلاي عند ذاك ما أغضبها، ولكن بالنسبة إلى

www.elromancia.com

أحداث الماضي، كان الحق معه، ففيكي لم تكن تنوي قط متابعة دراستها، ولا كانت تريد مساعدة أختها في القيام بذلك، ولولا دراستها في المدرسة الليلة التي كانت تذهب اليها في الفترات التي كانت تتخلل المآزق التي كانت تقع فيها أختها، لما استطاعت سامنتا الحصول على أيّ قدر من الثقافة.

كانت هي وكلاي، يتبادلان المشاعر العميقة، أثناء روعة تلك الجلسات الآمنة على الأرجوحة في تلك الشرفة. كانا أحياناً يسهران إلى منتصف الليل في الحديث دون انتباه إلى مرور الوقت. كانت الأرجوحة رمزاً لفتوتهما، ولفرصهما الضائعة.

قالت: «لا أرى سبباً لإضاعة الوقت. لماذا لا تتحدث في الأمر أثناء تناول الطعام؟»

«لم أظن أن حديثاً مهذباً هو إضاعة وقت. إن لدينا فرصة قصيرة ثمينة نستطيع أثناءها العودة إلى التعرف على بعضنا البعض مرة أخرى.»

«وما أهمية ذلك؟» وارتجفت يدها وهي ترفع طبق السلطة، فأسرعت تضعه لكي تخفي هذا الارتجاف.

أجاب: «فكرت في أنه من الممكن، عندما ينتهي هذا كله وننسى مسألة فيكي ونركز أفكارنا علينا نحن الاثنين... عفواً، الثلاثة...»

فقالت: «مستحيل.» وحدقت إليه راجية أن تكون اليانور على خطأ بالنسبة إلى التعبير السافر عن الانجذاب إليه والذي يبدو على وجهها.

«لمَ لا؟» ووضع شوكته وهو يعبس فيها.

«انه فقط مستحيل.»

«هل السبب هو أنك لا تريدين شخصاً آخر في حياة جيس.»

«لم أقل ذلك أبداً.»

«ليس عليك أن تقوليه، فهو مكتوب على وجهك. لا أدري كيف تملكتك فكرة أنك امرأة متفوقة إلى درجة يمكنك فيها أن تقومي بدوري الأم والأب.»

«إنني لست مجنونة، فأنا أقوم بذلك فعلاً.»

«أحقاً؟» ونظر إلى الطفل الذي كان يلاحق عدة حبات من البازيلا على حافة صحنه بشوكة كبيرة، وتابع: «إنه ليس جنوناً فقط، بل هو أنانية. أظنك سعيدة بالطريقة التي ينشأ بها.»

«طبعاً أنا سعيدة.»

«حسناً، لا بد أن تربيته صعبة.»

«إنه يقترف غلطة في كل فترة. ولكن هذا أمر طبيعي.»

أخذت تقطع الدجاج أمامها بهدوء وقد قررت تغيير الموضوع، فحيث أنها والدة طفل صغير دون أب، فقد تعودت على نوع آخر من الحديث أثناء تناول الوجبات العادية. فقالت: «والآن أخبرني المزيد عن مشروعك، ولماذا يشكل العثور على فيكي أمراً حيوياً بالنسبة إليك.»

ازدرد كلاي لقمته قبل أن يجيب: «إن مشروع سيكامور بلازا هو الأضخم بين كل مشاريعي. وهو سيعود على المدينة بايرادات ضخمة. وهناك ثلاثة متاجر رئيسية وافقت على الاشتراك معي، وندعوهم بالمساندين، وقد أجرّت نصف المساحة تقريباً.»

«هذا شيء رائع.»

«سيكون كذلك.» سحب نفساً عميقاً، واضاف: «فقط إذا استطعت أن أجعل فيكي توافق على بيعي قطعة الأرض التي كنت وهبتها لها كهدية عرس.»

«يبدو أن ذلك لن يكون سهلاً.»

«أعلم ذلك. وهذا هو السبب في أنني لم أحاول أن آخذها منها اثناء إجراءات الطلاق. المشكلة هي أن شركائي قرروا مواصلة هذا المشروع دون أن يعلموني إلى أن فات أوان ايقافه. وأنا الآن ليس أمامي سوى أن استجدي أو استقرض أو أسرق، فإذا لم انجح مع اختك، فسأتحطم وأحطم معي المستثمرين الأبرياء. وأنا لا أريد ذلك.»

«كلا، طبعاً.»

«حسناً، هل تساعدينني؟»

نظرت إليه مشمئزة وهي تقول: «لو كنت أخبرتني بكل هذا منذ البداية، لبذلت جهدي في سبيل مساعدتك.»

«كان علي إذن أن اعترف بمشاكلي المالية.»

«ألهذا السبب؟»

ابتسم لها: «لقد كنت فخورة بي على الدوام. فلم أشأ أن يتغير هذا في نفسك، يا سامنتا. حتى ولو كلفني هذا كل شيء.»

فقالت ساخطة: «تلك حماقة.»

قال ضاحكاً: «معك حق.»

أخذت تضع الزبدة على البطاطا وهي تفكر، إلى أن وصلت إلى خطة. «حسناً، كن هنا غداً حوالي التاسعة صباحاً. وسأسلم فيكي الأوراق التي سترسلها معي.

فالوقت الآن أصبح متأخراً بحيث لا يحسن ذهابي إليها.» ولم تشأ أن تخبره بأن ماك خطيب اختها لديه حفلة موسيقية هذا المساء وأن اختها لا بد أنها معه مع آخرين خلف الكواليس. وذلك بدلاً من أن تكون بانتظاره في المنزل.

قال كلاي: «إنني لن أسألك كم يأخذ هذا من الوقت. هل ستأخذين جيس معك؟ إذا لم يكن ذلك فسأراقبه أنا هنا. وعلى كل حال، فأنت تقومين بخدمة كبيرة لي، وعلي أن أرد الجميل.»

غمر سامنتا شعور بالرقة نحو كلاي. لقد أدركت أنه يريد أن يجد حجة لكي يمكث مع جيس. ومن نظرة جيس المتلهفة المنتظرة إليها أدركت أيضاً أن الطفل يشعر بنفس الشيء، فقالت: «لابأس.» وشعرت وهي تنظر إليهما وكأنها تنظر في مرآة إلى شخصين متماثلين، والإثنان حبيبان إلى درجة سبب رؤيتهما لها الألم.

• • •

كان جيس نائماً على الأريكة متكوماً في زاويتها ورأسه على ذراعه، وساقاه متدليتان إلى الأرض عندما حمله كلاي وصعد به إلى فراشه، حيث وقف في حين غيرت سامنتا ملابس الطفل وأخذته إلى الحمام لآخر مرة.

توهجت في كيانه صورة بهيجة للحياة العائلية. فهذه هي الحياة كما هو مفروض أن تكون. فالرجل بحاجة إلى ملجأ أمين يلجأ إليه عندما تثقل عليه الحياة الخارجية، بحاجة إلى مكان يستقبله فيه شخص حيث يمكنه أن يفصح عن رقته وعواطفه وبهجته من دون أن يظهره ذلك ضعيفاً أو

عاجزاً. ولكن كيف بإمكانه أن يشرح لسامنتا كل هذا؟ وهز رأسه. إنه لا يستطيع. ليس الآن على الأقل. وعندما يأتي الوقت المناسب، ويحاول هو أن يتقرب إليها ويمس قلبها، فهو يرجو ألاّ تصده هذه المرة.

عادت سامنتا إليه سائرة على أطراف أصابعها وهي تقول: «لقد نام على الفور.»

«هذا حسن. أتريدينني أن أخرج وأحضر العقد الآن؟»

«هذا ما أراه.» آه لو كان الزمن توقف بهما حيث كانا في البداية، لكانت الآن زوجته وكان طفلهما الصغير راقداً في غرفته بهدوء الآن، بينما المنزل هادىء والسكون مخيم عليهما. ولكن أحلام اليقظة هذه ما هي إلا تصورات قاسية.

اتجه بها إلى الباب الأمامي: «هيا بنا، فالأرجوحة تنتظر.»

قالت: «كلا. إن الجوّ بارد هناك كما أن الوقت ظلام.»

«سنضيء مصباح الشرفة.»

قالت: «إن اللمبة في الخارج معطلة.»

قال: «سأستبدلها لك إذن ما دمت هنا.»

«كلاي، أنا...» كانت قد وقفت لا تريد التقدم، وقد أخذ قلبها يخفق وأنفاسها تتقطع.

فقال وهو يحاول إخفاء خيبته: «أعلم. إنك لا تريدين الجلوس في الخارج.»

«أنا لم أقل هذا.»

«ليس من الضروري أن تقوليه بلسانك.»

فسبقته إلى الباب وقد شعرت بالندم، وهي تقول: «لا بأس، لقد انتصرت. أظن بقاءنا في البيت هو نفسه بقاءنا

في خارجه. اذهب واحضر حقيبة أوراقك بينما أمسح أنا الارجوحة من الغبار.»

نزل من الشرفة وهو يبتسم في أعماقه، وأحضر ما يحتاج إليه ثم أسرع عائداً ليجدها قد سبقته إلى الجلوس على الأرجوحة الخشبية وهي تتأرجح دافعة إياها بقدمها، بكسل.

قالت له: «إنك لست بحاجة للركض.»

«خفت أن تغيري رأيك فتقفلي الباب خلفي.»

عبست قائلة: «أتعني كما كنت تصرفت مرة من قبل؟ أنا آسفة لذلك، أظنني كنت متعبة فوق العادة في ذلك النهار. فقد كانت كل أموري فاشلة ما جعلني محطمة الكيان.»

«هل كنت سعيدة في السنوات القليلة الماضية؟» قال ذلك وهو يجلس بجانبها واضعاً حقيبته بينهما.

أجابت: «طبعاً كنت سعيدة.»

أوما قائلاً: «إن بعض الناس ترينهم سعداء مهما كانت الأحوال، وآخرون أشقياء على الدوام. أما أنا فأظنني بين بين.»

«ولكن عملك جيد، وكان يجب أن تكون شاكراً لهذا.»

«وأنا كذلك.» فتح حقيبته مخرجاً مغلفاً سميكاً يحتوي على الأوراق التي يريد من زوجته السابقة أن توقعها.

«هذا كل ما تحتاجينه. وقد أحضرت أيضاً نسخة عن العرض الذي قدمه المهندس للشكل الخارجي لسيكامور بلازا إذا كنت تريدين رؤيته.»

«هذا مؤكد.» ونظرت إلى الرسم، فأذهلها روعة المشروع فهتفت: «أوه.»

www.elromancia.com

قال: «نعم. إنه رائع. هذا إذا تمكنت من بنائه.»

ابتسمت له قائلة: «ستتمكن من ذلك. إنني لم أشك يوماً قط في قدراتك.»

«لا تفعلي هذا بنا، يا سامنتا. لا أدري إذا كنا سنستعيد ما كنا عليه ذات يوم. ولكنني أريد أن أحاول.»

«حسناً، أنا لا أريد ذلك.»

«لمَ لا؟ هل لأنني اقترفت غلطة حمقاء وتزوجت أختك؟ أقسم أنه لو كان هناك أية طريقة لمحو تلك الغلطة، لقمت بها. كل ما بإمكاني أن أفعله هو أن أمضي بقية حياتي حسب رغبتك.»

قالت: «كلا.»

قال مدافعاً عن نفسه: «لقد خدعتني فيكي عدة مرات، فماذا كان ينبغي أن أفعل؟ هل أتابع الصفح عنها إلى الأبد؟ لقد حاولت انقاذ ذلك الزواج. فلا تلوميني لأن أختك أصبحت شريرة الآن.»

«كفى حديثاً عن أختي بهذا الشكل.»

«لماذا؟ إن هذه هي الحقيقة. ربما إذا أنت واجهت الحقائق، ولو من باب التغيير، لما ادنتني بهذه السرعة.»

«أنا لم أتهمك باقتراف أي خطأ، أنت الذي تصورت ذلك، لأنك تظن نفسك عالماً بكل شيء. كالعادة. إن ذلك غير صحيح.» وقفت واتجهت نحو الباب وهي ما زالت مصممة على الدفاع عن أختها وكان كلاي قد وقف هو أيضاً فانحنى يلتقط الأوراق التي كانت سقطت من سامنتا في سرعتها للفرار منه، فأعاد وضعها إلى المغلف ومن ثم وضعه على مقعد الأرجوحة، ثم قال: «سأكون هنا صباحاً

الساعة التاسعة، ولن أعود لإزعاجك بعد ذلك، فلا تقلقي ما أن ننجز هذا الأمر معاً، حتى امتثل لما تريدينني القيام به وأخرج من حياتك إلى الأبد.»

أطرقت برأسها بحسرة، كما أطبقت أصابعها بشدة إلى درجة شعرت معها بالألم: «هذا أفضل. صدقني أنا أعلم أن ما أفعله هو الصواب.»

«سواء كان ذلك صواباً أم خطأ، فأنا لا يمكنني الاستمرار في حب لا تشاركينني فيه.»

انطلقت كلمة حب هذه إلى أعماق قلبها لتعصف بكيانها. سمعته يتأوه، فلم تعرف ما هو الخطأ الذي اقترفته، وكان يقول: «سامنتا، إنني غير مصنوع من الحجر.»

قالت دون تفكير: «ولا أنا.»

«كلا، إنك لست من الحجر.»

كان صوته أجش متقطعاً. كما أن الغموض في لهجته بعث ارتجافاً في كيانها، فقالت: «لقد أخبرتك أن الليلة باردة.»

قال بضحكة ساخرة: «كلا، إن الليلة بالنسبة إليّ، شديدة الحرارة. الأفضل أن أذهب.»

لم تكن سامنتا تريده أن يذهب، ولكنها لم تجرؤ على أن تطلب منه البقاء، وذلك خوفاً من أن يبقى فعلاً.

قالت له برقة: «إذن، تصبح على خير، ولتصل سالماً إلى بيتك.»

«لا تقلقي لذلك. فقد قررت أخذ غرفة في نزل هنا في المدينة. إذ لا يعقل أن أعود إلى بيتي البعيد في فيكتورفيل بينما عليّ أن أعود إلى هنا في الصباح الباكر. تصبحين على خير.»

www.elromancia.com

أخذت تنظر إليه وهو يلتقط حقيبته ويسرع إلى سيارته حيث قادها مبتعداً عن المنزل.

كانت تعلم أنه كان من الأفضل أن تدعه يذهب. فلماذا إذن وجدت من الصعب عليها الامساك عن مناداته متوسلة إليه أن يعود؟

وببطء وتفكير، تحولت تستعيد المغلف الذي تركه كلاي لها، ثم دخلت المنزل وأقفلت الباب الأمامي خلفها.

كانت أطباق العشاء قد أزيلت من على المائدة ولم يبق سوى الغطاء ومكان طبق جيس الذي تناثرت حوله حبوب البازيلا وفتات الخبز.

ابتسمت سامنتا. يا للصبي العزيز. لقد حاول جهده أن يري كلاي مبلغ مهارته في تناول الطعام، ولكنه بقي على حاله من الفوضى.

الفصل الثامن

أخذت سامنتا تروح وتجيء حول مكتبها، في الصباح التالي، منتظرة حضور كلاي، وهي تحاول أن تركز تفكيرها على مجرد الأمور العملية، وكانت قد أنهت واجباتها المحددة وأرسلتها بالبريد إلى مكتب الصحيفة، ومنذ ذلك الحين لم تسمع كلمة من رئيس التحرير ما جعلها تتصور أن عملها مقبول، أو، على الأقل، كان هذا رجاؤها، إنما، فيما بعد، لم تعد تضمن ذلك بالنسبة إلى مشكلاتها النفسية.

وإذ قررت أن تجلب الارتياح إلى نفس فيكي بقدر الإمكان، قررت أن ترتدي بنطلون جينز قديم وقميصاً أسود مطرزاً كانت أختها قد منحتها إياه لأنها لم تعد بحاجة إليه. ولم يكن هذا لباس سامنتا في الأحوال العادية، كما أنها أمضت مدة أطول أمام المرآة لتتأكد من حسن مظهرها.

أكملت مظهرها بقرطين لامعين متدليين إلى كتفيها، وصندل مكشوف في قدميها، ثم هبطت السلم لتفتح الباب لكلاي.

نظر إليها ذاهلاً وهو يهز رأسه قائلاً: «لأول وهلة ظننتك فيكي.» فدارت سامنتا على أطراف أصابعها تعرض نفسها أمامه: «إنه من فيكي، وقد فكرت في أنها ستشعر بالارتياح إذا أنا لبسته أثناء حديثي معها.»

«إنك نكية. هل قرأت كل المعلومات التي تركتها لك؟»

www.liilas-romancia.com

«نعم، إن عرضك يبدو لي معقولاً تماماً، وأرجو أن تشعر أختي بنفس الشيء.»

تراجعت مشيرة إليه بالدخول. لقد تمكنت حتى الآن من حصر أكثر تفكيرها في هذا المشروع الذي بين يديها، هذا حسن، إن بامكانها الآن الهرب الى أختها قبل أن يسيطر حضور كلاي على أفكارها كما حدث أمس فلا تعود تفقه شيئاً.

قالت وهي تروح وتجيء متجنبة بذلك التقاء عينيها بعينيه: «لقد تناول جيس إفطاره، وهو يلعب الآن في الفناء الخلفي. إنه لن يتعبك بشيء، ولكن إذا حدث له حادث، فهناك رقم هاتف الاسعاف وطبيب الطوارىء في دفتر قرب الهاتف.»

فبان عليه التهكم وهو يراها تغرقه بارشاداتها وكأنه جليس أطفال مراهق يجلس بجانب طفل لأول مرة، وقال: «ثقي بي. سأكون وإياه بأحسن حال.»

«أنا واثقة من ذلك هنالك سلطة التونة في الثلاجة لعمل الشطائر، إن جيس يحب الخبز الأبيض، وانتبه إلى ألا تضع مخللاً معها فهو يكرهها.»

قال: «ليس في ذلك مشكلة، فأنا معه في ذلك، وأنت تعلمين أنني أكره كل أنواع المخلل.»

علقت حقيبتها في كتفها، ثم قالت وهي تربت على ظاهرها: «لدي هنا المغلف المحتوي على العقد. تمنى لي حظاً سعيداً.»

تقدمت إلى الأمام مادة يدها إليه تصافحه، فصافحها بشكل عادي تماماً ثم تركها بسرعة بعد إذ شعر بأن هذه هي رغبتها.

«هل أخبرت جيس بأنني قادم اليوم؟»

«نعم، وقد أبدى تحمساً فائقاً لكونك ستكون معه وحده طوال الوقت، قال إنكما ستلعبان لعبة الروبوت.»

«إنه رائع. لماذا لا تسيرين معي إليه كي لا أخيفه؟»

«فكرة حسنة.» وسارت أمامه من خلال المطبخ.

فتحت الباب ونادت جيس، ثم نظرت إلى الرجل والصبي وقد حيّا الواحد منهما الآخر، لتعود بعد ذلك وحدها إلى الداخل.

كان فمها جافاً ويداها رطبتين وأعصابها متشنجة، وعندما وقفت عند حوض الغسيل تشرب كوباً من الماء، أخطأت بالقاء نظرة على الأب وابنه. كان كلاي قد جلس القرفصاء ليكون في مستوى الطفل وهو يستمع بكل جد إلى كل كلمة ينطق بها هذا. كان الطفل يتحدث وهو يحرك يديه في الهواء بكل حيوية. لم تشاهد سامنتا قط من قبل مشهداً مثل هذا، كان ما شعرت به من اختناق في حلقها لا يقاس بتلك الغصة التي أوجدها في قلبها ندم هائل.

* * *

كانت مجموعة دايامونـد أبنية خاصة قائمة في منتصف الطريق بين ريفرساید ووادي سان غابرييل. وكان منزل ماكال يقوم في زقاق خلف بوابة حديدية مستطيلة وسط جدار مبني بأحجار طبيعية اللون يمّر به تيار كهربائي مزود بكاميرات تليفزيونية تحمي المنزل من اللصوص والمعجبين بماكال على السواء.

أوقفت سامنتا سيارتها القديمة عند البوابة وخرجت منها

ثم ضغطت زر الجرس، وجاءها الجواب: «من هذا؟» وكان هذا صوت فيكي نفسها.

«أنا سامنتا.» وتراجعت إلى الخلف وهي ترفع ذراعيها علامة البراءة، ليمكن بهذا للكاميرا أن تلتقط صورتها.

قالت فيكي: «لقد تلقيت رسائلك الهاتفية، ولكنني كنت مشغولة جداً عن الاتصال بك. إنك تدركين مثل هذه الأمور.»

فابتسمت سامنتا أمام عدسة آلة التصوير: «طبعاً، أيمكننا أن نتكلم؟ إن لدي أخباراً طيبة لك.»

«الآن؟ لقد كان لدى ماك حفلة ليلة أمس، وكنت أنا معه حتى بعد الثالثة صباحاً. ألا يمكن تأجيل ما جئت لأجله؟»

«كلا، أبداً.» وسمعتها تتنهد ثم تسألها: «هل أنت وحدك؟»

«نعم.»

«أليس الولد معك؟»

«إنه في البيت.» وأرادت أن تخبرها بالتفاصيل، ولكنها عادت فقررت أن من الأفضل إرجاء هذا الحديث إلى أن تصبح في الداخل.

«لا بأس.»

تصاعد رنين حاد، وابتدأت البوابة تدور، فقفزت سامنتا إلى سيارتها ثم قادتها إلى الداخل حيث سارت في الطريق الدائري، معجبة بالمروج الرائعة والشجيرات التي تحيط بها الأزهار.

فتحت فيكي لها الباب مرتدية روب طويلاً من الساتان الأسود، وفي قدميها خف يناسبه، نظرت إلى ملابس أختها بسخرية وهي تقول: «هل جئت لتنضمي إلى الفرقة؟»

«نعم، إذا كان ماك بحاجة إلى قارع طبلة، فهذا كل ما

أعرفه.» ومدت سامنتا ذراعيها تريد احتضان أختها، ولكنها ما لبثت أن شعرت بالخيبة عندما تراجعت هذه إلى الخلف، وهي تقول: «أدخلي، إنني بحاجة إلى فنجان قهوة، أتريدين أنت شيئاً؟»

كان ذيل الروب الذي ترتديه فيكي يكنس الأرض المصقولة وهي تدخل غرفة فسيحة مؤثثة بلون أسود وأبيض وبمعدن الكروم وذلك بشكل عصري مترف.

قالت سامنتا: «اشاركك فنجاناً من القهوة؟»

قالت فيكي: «هذا إذا صنعتها أنت بنفسك. إن لدي صداعاً قوياً كما أن الطباخ غير موجود. المطبخ من تلك الناحية.»

«لا بأس، فقد جئت لأراك وليس لأشرب القهوة، على كل حال.»

قالت فيكي: «صدقيني، انني مندهشة لرؤيتك أنكر أننا لم نكن متفقين في آخر مرة جئت أنت فيها إلى هنا.»

«ربما لأنني أحضرت جيس معي.»

«ربما، لا تستائي مني، ولكنه ينكرني بأشخاص وأوقات أفضل نسيانها.» وأخذت تدفع بشعرها الأشقر الكثيف، ثم جلست على الأريكة الجلدية ثانية قدميها تحتها. «ما الذي جاء بك مرة أخرى؟ لقد كنت منفعلة قليلاً على الهاتف.»

«أنا آسفة إذا كنت سببت لك القلق.» وجلست سامنتا على الناحية الأخرى من الأريكة، ثم أخرجت عرض كلاي من حقيبتها، وهي تقول: «لقد طلب مني زوجك السابق أن أحضر إليك هذا.»

«ألم يستطع أن يواجهني بنفسه؟»

«ليس الأمر كذلك، فأنا لم أشأ أن أخبره بمكان وجودك،

www.elromancia.com

وهكذا طلب مني أن أكون صلة وصل بينكما، إنه موشك على أن يجعل منك امرأة ثرية.»

فضحكت فيكي بصوت خشن: «أنظري حولك، فأنا ثرية فعلاً.»

قالت سامنتا: «هذا خطأ. إن خطيبك هو الثري ماذا سيحدث عندما يميل إلى امرأة أخرى، ثم ينبذك؟»

أجابت وهي تنظر إلى الأوراق التي كانت سامنتا تدفعها إليها: «إنه لن ينبذني، فهو يحبني. اقرإي لي هذه الأوراق، فأنا متعبة هذا الصباح.»

«لا بأس، ولكنني أريدك أن تعلمي أنني كنت استمعت إلى شرح كلاي للموضوع، وأعتقد أن هذا العرض جيد.»

هزت فيكي رأسها: «لا أعلم ما الذي تتحدثين عنه؟»

أخذت سامنتا تحدثها عن تفاصيل المشروع منذ البداية، وكذلك عن سخاء هذا العرض الذي يقدمه لها كلاي، وعندما انتهت، قالت فيكي لها: «لا بأس، ما الذي يهدف إليه؟»

قالت سامنتا: «لا شيء، لقد قيد نفسه فقط بالتزام، ثم لم يستطع أن يعثر عليك. لقد اتصلت بشركتين للأراضي لكي أتأكد من أن الثمن الذي يعرضه عليك هو جيد، فوجدته جيداً جداً.»

«وهكذا تخبرينني أن علي أن أوقع؟»

«نعم، فأنت لا تريدين قطعة الأرض سيكامور هذه، إنك حتى لا تتذكرين أنك تملكينها.»

«هذا صحيح.»

«ويمكنك أن تضعي النقود في المصرف.»

«فلنفترض أنني فعلت.»

رفضت سامنتا أن تسمح لنفسها بالشعور بالغيرة لهذه الرفاهية التي تعيش فيها أختها، ذلك أنه رغم تظاهر فيكي بالسعادة فان سامنتا لم يخدعها ذلك، إنها لم تر تألقاً ولا بهجة في وجه أختها، في الواقع أنه ليس ثمة من يدرك متى تقترف أختها الصغرى خطأ ما. إن السنوات الشاقة التي مرت بها اختها، قد دمرت نضارة الصبا في جمالها.

قدمت سامنتا إليها العقد والقلم، ثم اتكأت إلى الخلف وانتظرت، لقد قالت كل ما أمكنها من ناحية كلاي، لقد كان عرضه هذا جيداً، وستكون فيكي حمقاء إذا هي فكرت في رده.

«لا بأس، أين سأضع توقيعي؟»

أجابت سامنتا: «في هذا المكان، وأخبريني كيف تريدين النقود، هل أضعه لك في حساب؟»

«ما هذا؟ يمكنك أن تحضري لي النقود في كيس ورقي إذا شئت، فهذا لا يهمني.» ووضعت توقيعها وهي تتابع: «اوه، كم يؤلمني رأسي.»

«إنني آسفة.»

قالت فيكي: «لا بأس، لا بأس. كيف حال عزيزك الصغير الغالي؟»

رأت سامنتا أن تتجاهل نبرة التهكم، وأجابت على السؤال بقولها: «جيس بخير، وهو ينمو بسرعة، كذلك هو جميل، إنه يستحق كل حب.» وأضافت لنفسها أنه مثل أبيه تماماً.

قالت فيكي وهي ترافقها إلى الباب: «إنني مندهشة لثقتك في تركه بعيداً عن ناظريك، إنك تحومين فوقه بشكل أسوأ

مما كنت معي عندما كنت صغيرة، لقد جعلتني معتوهة.» وابتسمت.

قالت سامنتا: «أعلم ذلك. كنت أتصور أن تلك كانت مهمتي بعد أن رحل أمي وأبي.» وسكتت لتقوم بمعانقة أختها بشكل سريع. «لا تقلقي بشأن جيس، فهو مع كلاي.»

كانت سامنتا قد وصلت إلى سيارتها قبل أن تسمع أختها تقول: «هو مع من؟»

أجابتها منادية: «مع كلاي.»

«أبوه كلاي؟ كلاي إليس؟»

«نعم، إنه عطوف عليه حقاً.» ولوحت لأختها بالوداع وهي تفكر في كلاي وجيس، وشعرت بدفء وحب يسريان في كيانها، وعندما ابتعدت بسيارتها نظرت في مرآة السيارة فرأت فيكي ما تزال واقفة على جانب الطريق. وتمنت لو أنها، وأختها، تصبحان صديقتين.

• • •

كان كلاي جالساً على الأرجوحة، وجيس نائماً على ركبتيه، عندما وصلت سامنتا إلى البيت.

سألها وقد بان القلق في عينيه: «ما الذي حصل؟»

«كل شيء ممتاز.» ولوحت له بالمغلف الذي يحتوي على العقد الموقع باسم فيكي.

أشرق وجهه بالابتسام وقال: «كنت سأرقص فرحاً لولا خوفي من إيقاظ جيس.» ومرّ بيده على رأس الطفل. «يا للطفل المسكين، إنه مثلي، يتضرج وجهه بالاحمرار قبل النوم.»

«كان يجب أن يكون الآن في فراشه، فهذا هو وقت قيلولته.»

قالت سامنتا ذلك بسرعة وهي تشيح بوجهها متجنبة أن ترى المزيد من حنان الأبوة.

«لقد تناولنا الغداء، كما قلت لنا، دون مخلل.» ورفع جيس محاذراً أن يوقظه، ثم توجه نحو الباب. «يوجد بقية من التونة.» إذا كنت جائعة، هذه الليلة سنحضر جليسة أطفال لتجلس مع جيس، ثم آخذك إلى حيث نحتفل بالنجاح.»

فقالت شاردة النظرات: «هذا ليس ضرورياً. ليس عليك أن تكافئني، فقد كنت مسرورة إذ تمكنت من أن أقدم خدمة إلى أختي.»

ولكي يغفل كلاي تلميح سامنتا إلى أنها لم تفعل ذلك لأجله، كان ذلك يقتضي منه أن يكون أصمّ أعمى، فقال لها بفتور: «إذهبي وأصنعي شطيرة لنفسك. وسأعود حالاً.»

وضع كلاي جيس في فراشه بكامل ملابسه ما عدا حذاءه وجوربه، ثم عاد إلى سامنتا مسرعاً. كانت في المطبخ، ولكنها لم تكن تأكل شيئاً، فقال يجيب على نظرتها المتسائلة: «إنه يغط في نومه. والآن، ما هذا الهراء الذي قلته لكي لاتدعيني أدعوك إلى العشاء في الخارج؟»

ناولته المغلف المحتوي على العقد الذي وقعته أختها. كلما أسرعت باخراجه من بيتها وحياتها، أسرعت في التوقف عن الادعاء بأنها لا تهتم به. فقد كان تكلفها مظاهر عدم الاهتمام، بالرغم من الشوق العارم في قلبها، كان ذلك يزداد صعوبة يوماً بعد يوم، فقالت: «لقد قمت بما طلبته مني، وكما أرى، فقد انتهى عملنا معاً.»

«أبهذا الشكل؟»

«بهذا الشكل، يا كلاي، وأنا مسرورة أن أمكنني المساعدة.»

فقال ساخراً: «هذا حسن، والآن تطردينني، أليس كذلك؟»

أجابت: «نعم، ولكن هذا تعبير فج منك.»

«هل كنتما متفقتين حقاً أنت وفيكي؟»

«كالمعتاد، عليك أن تكون راضياً لكوني تمكنت من أن أجعلها توقع لك العقد.»

«هل استطعت أن تجيبي على كل أسئلتها بشأن المشروع؟» وكان أثناء الحديث قد توجه نحو الثلاجة حيث أخرج سلطة التونة، ومضى يصنع لسامنتا شطيرة بشكل عادي وكأنه يعيش هناك.

أجابت: «إنها لم تسألني، ولا أظنها اهتمت لهذا الأمر.»

«هذه هي طبيعتها. كيف حالها؟»

تنهدت قائلة: «إنها ضائعة.» وهزت رأسها ببطء حزين، وتابعت: «أتمنى لو أعلم موضع خطئي في تربيتها.»

قدم كلاي إليها الشطيرة على طبق وهو يسألها: «موضع خطأك؟ لا تكوني حمقاء، فأنت لم تخطئي بشيء.»

كانت سامنتا من التعب بحيث لم ترفض الشطيرة التي قدمها إليها، هذا إلى أنها شعرت بمبلغ جوعها إذ تشم رائحة الطعام، فجلست إلى المائدة وهي تقول: «يبدو أنك متأكد من أنه لا لوم عليّ.»

سكب كوبين من الشاي المثلج ثم جلس معها وهو يقول: «إنني متأكد، لقد عرفتكما منذ كنا أولاداً. لقد كانت فيكي كما هي الآن، لا أظن أن الناس يتغيرون كثيراً عما ولدوا عليه.»

«ربما هذا صحيح.» وقضمت شطيرتها، قائلة: «شكراً لهذا الطعام، فأنا لم أكن أظن نفسي جائعة إلى هذا الحد.»

«أهلاً بك. إن لدي العديد من الصفات الحميدة والتي يسرني عرضها إذا أنت سمحت لي بالبقاء بقربك مدة أطول.» وسكت برهة ثم ابتسم قائلاً: «إن الطفل يحبني.»

«أعلم ذلك، ومعرفته بك قد أفادته، يا كلاي، إنما لا أظن من الحكمة أن يتعلق بك أكثر من اللازم.»

قال بصراحة: «أنا نفسي متعلق به، فبعد الأسابيع القليلة الماضية، وجدت من الصعب أن أتصور أنك وجيس لن تدخلا حياتي على الدوام.»

وضعت سامنتا من يدها الشطيرة، ثم ابتعدت عن المائدة وهي تقول: «أرجوك يا كلاي، أنت تجعل الأمور أكثر صعوبة بالنسبة إلي.»

«ولكنني أريدها فعلاً أن تكون صعبة عليك، يا سامنتا. صعبة إلى حد لا يمكنك معها نبذي، صعبة إلى حد تجعل جيس يفتش عني في كل زاوية. إنني لا أحاول أن أعذبك، يا عزيزتي، بل أحاول أن أضمك إلى حياتي، حيث تنتمين.»

«كلا يا كلاي، كلا، كلا.»

«أعطيني سبباً... سبباً واحداً وجيهاً، فابتعد عنك.»

وكان الصوت الذي انطلق إلى مسامعهما من عند الباب، كان من الحدة والعلو والخشونة بحيث جعلهما يقفزان من مكانيهما. كانت فيكي تقول: «أنا سأعطيك سبباً وجيهاً تماماً.» وكانت تنظر إلى الاثنين بعينين نصف مغمضتين. كان الطقم الجلدي الأسود الذي ترتديه، والسلسلة الذهبية التي تتدلى من عنقها، والحذاء العالي

الكعب في قدميها، كل ذلك أضاف إلى شكلها المتوعد مظهراً بالغ المهابة.

استدارت سامنتا تواجه أختها، لا يمكن أن يحدث هذا، إن الكوابيس لا يمكن أن تكون محسوسة بهذا الشكل.

ركزت فيكي نظراتها على كلاي وهي تسأله: «حسناً، ألا يهمك هذا؟»

قالت سامنتا متوسلة: «كلا يا فيكي، أرجوك.»

أجابتها هذه ساخرة: «لمَ لا؟ أظن أن الكذب يسري في أسرتنا وربما قول الحقيقة يسري هو أيضاً، أليس كذلك؟»

اغرورقت عينا سامنتا بالدموع: «أرجوك، يا فيكي، لا تفعلي ذلك.»

وإذ رأى كلاي سامنتا بهذا الشكل، تقدم يقف بين المرأتين بحزم وهو يحدق في زوجته السابقة، يسألها: «ماذا يجري، يا فيكي؟ فأنا، أولاً لا أستطيع العثور عليك في أي مكان، وثانياً، تحضرين إلى منزل أختك ثم تهددينها بشكل غامض بما يجعلها تكاد تموت خوفاً، فلماذا؟ وماذا يجديك هذا؟»

«الأفضل أن تسألها هي.»

قال: «دعي سامنتا خارج هذا الموضوع، فاذا كنت مستاءة بالنسبة لموضوع الأرض، فلنجلس ونتحدث في أمرها.»

قالت غامضة: «إنني مستاءة، فأختي تمرح مع رجل، ثم تأتي إلي تطلب مني إعطاءه قطعة أرض ثمينة. نعم، هذا صحيح تماماً، فأنا مستاءة.»

وعندما رأى كلاي مبلغ الكدر الذي أصاب سامنتا، ابتسم

لها برقة مشجعاً، بينما قال مخاطباً المرأة الأخرى: «إسمعي يا فيكي، أنا لا يهمني مقدار الغضب الذي تشعرين به نحوي. فقد اعتدت عليه، إنما كفي عن اتهاماتك الحمقاء هذه لسامنتا.»

«اتهامات حمقاء؟»

«دعي عنك هذا، فأنا وأنت نعلم أن أختك سامنتا من أكثر الناس نزاهة وصدقاً في العالم. فهي، بعكسك، لا تكذب أبداً. إنني أعرف أن النزاهة هي مفهوم غريب عليك، إنما حاولي أن تكفي عن ذلك، من فضلك.»

استدارت فيكي وهي تشتم بغضب فائق الحد.

قالت سامنتا وهي ترتجف، بعد أن تمالكت نفسها: «دعنا وحدنا، يا كلاي، أنا سأعالج الموقف.»

وعندما لم يتحرك، قالت: «أرجوك.»

فقال: «أتريدينني حقاً أن أذهب؟»

قالت فيكي: «إذا أنت خرجت، فستخسر الكثير من المتعة. ألا تريد أن تسمع كذبة القرن التي تلفقها حبيبتك الصادقة النزيهة عليك؟»

فوقف كلاي بحزم، يقول: «لا أصدق أي شيء تقولينه، يا فيكي، فلا تكلفي نفسك عناء زرع الخلاف بيني وبين سامنتا، إن الوقت الذي كان بامكانك فيه أن تقومي بذلك، قد انتهى منذ وقت طويل.»

«آه، أحقاً؟» وارتسمت على شفتي فيكي ابتسامة ملتوية: «إذن، جرب أن تسألها عمن يكون والد الطفل.»

شعرت سامنتا بالعذاب يمزق كيانها ويذهب بكل ما لديها من تهذيب أو رأي صائب. فهي إما أن تفرق بين فيكي

وكلاي حتى يمكنها التفاهم مع أختها لكي تبقى صامتة، وإما أن يذهب سدى كل جهودها في سبيل أن تحمي جيس.

وإذ اختلط في نفسها الرعب والاضطراب، اندفعت تقبض على ذراعي فيكي وحاولت أن ترغمها على الخروج: «هيا، سنتحدث في هذا الأمر في الخارج.»

«كلا، أبداً.» وبقوة مدهشة، تشبثت فيكي بمنضدة هناك ومن ثم اندفعت تصرخ بكلمات بذيئة لم يسمعها كلاي منذ كان يعمل مع البنائين. فصرخ وهو يحاول أن يفصل بينهما: «هذا غير مهم، لم يعد يهمني أن أعرف من هو.»

كانت فيكي ممسكة بجانب الباب وهي ترفس برجليها بشكل خطر رافضة التزحزح من مكانها بينما كانت تصرخ: «آه، كلا؟ إذن إسألها من هي أمه...»

الفصل التاسع

ساد صمت صاعق. وتراجعت سامنتا لتتمسك بحافة مائدة المطبخ وهي تحملق ذاهلة. لقد انتهت اللعبة.

أخذت كلاي ينقل نظراته بين المرأتين، وأخيراً، حوّل اهتمامه إلى سامنتا، وسألها: «ما الذي تتكلم عنه؟»

وبكتفين مقوستين، وانكسار بالغ، هزت سامنتا رأسها وقد خفضت بصرها لئلا يقع على شعور الخيبة الذي لا بد سيظهر على ملامحه حالما تنتهي فيكي من تحطيم صورتها في ذهنه.

قالت بصوت جامد النبرات: «دعني وحدي، يا كلاي.»

«كلا. أخبريني بالأمر، سنعالج أنا وأنت هذه المسألة مهما كانت ظروف مولد جيس. ألا تفهمين هذا؟ أنا أحبك يا سامنتا.»

ضحكت فيكي ساخرة: «آه، نعم؟ حسناً؟ ماذا سيحدث لهذا الحب إذا أنا أخبرتك بأنني أنا أم الطفل؟»

«لا تكوني سخيفة.» واستدار نحو سامنتا: «أخبريني بالقصة كلها فلا يمكن لأختك أن تحرف الحقائق، بعد ذلك، ومن ثم ننسى كل هذا.»

وهذه المرة، كانت سامنتا هي التي ضحكت بجفاء: «لا أظن أن بمقدورنا هذا، يا كلاي. كلا، لا أظن ذلك حقاً.»

سار نحو المطبخ وهو يقول: «لا بأس. يكفي كل هذه

www.elromancia.com

الألاعيب. لا بد أن يخبرني شخص ما عما يجري هنا، لأنني لن أغادر حتى أعرف كل شيء.»

استقامت سامنتا في وقفتها، بما أنها هي التي ضلّلته، فعليها وحدها يقع عبء الكشف عن كل هذه القصة القذرة. فقالت وهي تستجمع شجاعتها وترفع رأسها بعزم: «إن عليّ أنا القيام بذلك. فبهذه الطريقة، على الأقل ستسمعها صافية دون زخارف.»

قالت فيكي بانفعال: «آه، أشكرك، شكراً جزيلاً. وأظن أن سحب مبلغ من شركة الضمان كانت فكرتي كذلك.»

قالت سامنتا: «لقد دفعت أنا أجرة الطبيب ونفقات المستشفى ولم انته من تسديد ذلك المبلغ إلا السنة الماضية.» وألقت على أختها نظرة فولاذية: «لقد أخبرتك أن الضمان سيغطي نفقات الحمل، ولهذا ليس لك أن تقلقي بالنسبة للتكاليف مهما بلغت.»

نظرت فيكي إلى كلاي: «أرأيت؟ هذه كذبة أخرى.»

اتكأ بظهره إلى حافة منضدة المطبخ وشبك يديه فوق صدره قائلاً بفتور: «دعي سامنتا تخبرني بكل شيء. أريد أن أستمع إلى ذلك منها.»

ابتدأت سامنتا تتكلم مشبكة اليدين أمامها: «كنت أسكن في سان فرنسيسكو. وذات يوم زارتني فيكي في شقتي وأخبرتني بأنها حامل.» وسكتت إذ رأته ينظر إلى الأخت الصغرى عابساً وعندما عاد ينظر إليها، عادت تكمل قصتها: «كانت تريد أن تجهض الجنين، ولكنني أقنعتها بألا تفعل ذلك واتفقنا على أن تحمل هي الجنين إلى كامل مدته، ثم آخذه أنا منها وأربيه بنفسي.»

أومأ كلاي: «لا بأس. يمكنني اعتبار هذا عملاً طيباً منك. ولكن لماذا جعلتني أعتقد أن جيس هو ابن رجل آخر وقعت في حبه؟ لو كنت قد أخبرتني بالحقيقة منذ البداية، لما غيّر هذا من شعوري تجاهه فهو ليس سوى طفل صغير، ليس له رأي فيمن تكون أمه.»

فقالت فيكي: «شكراً جزيلاً.»

أومأت تجيب: «نعم، هناك المزيد.» وبنظرة سريعة إلى أختها، أدركت أنه لم يعد ثمة سبيل للتوقف الآن. المشكلة هي أنها لم تكن تستطيع إرغام نفسها على التحدث عن تفاصيل ذلك الإثم الذي أخفته في صدرها مدة طويلة.

«فيكي... أعني أننا... نحن الاثنتين، قد قررنا أن أحسن طريقة لتجنب مشكلات قضائية، حيث أنني عزباء، كان في تبادل الهويات حيثما تطلب ابرازها. إنني لم أدع قط أنني والدة الطفل. إنها فيكي التي استعملت هويتي عند الطبيب وفي المستشفى.»

فقال: «وهذا ما سجّل في الملف.»

أصرت فيكي بقولها: «بل زيّف. الكلمة هي التزييف.»

حدق كلاي في سامنتا: «هيا يا سامنتا، استمري.»

«لم يبق الكثير لأخبرك به. لقد أخذتها إلى المستشفى حيث جلست معها إلى أن ولدت. وقد وقعت في غرام جيس منذ اللحظة التي رأيته فيها.»

فمدت فيكي رقبتها قائلة: «ليس هذا كل شيء.»

كان للثواني التي تلت أن تدمر صفاء حياتها... كما لو أن شخصاً قد ألقى قنبلة تحت قدميها. كانت سامنتا تعرف ذلك،

ولكن فيكي لم تكن لتترك لها خياراً فهي إما أن تعترف بنفسها بكل شيء لكلاي، وإما أن تترك أختها تتحدث في الأمر على هواها.

تنفست بعمق، ثم ابتدأت تقول: «إن ما تعنيه هو أن تحديد وقت الحمل كان صعباً جداً عليها. كان الطلاق لم يتم بينكما نهائياً بعد. ولهذا لم تشأ لك أن تعلم بأنها حامل لكي لا يقف عائقاً أمام حصولها على قرار الطلاق.» وحدقت في أختها: «أليس هذا صحيحاً؟»

«إنه صحيح تماماً، ولكنك أغفلت أفضل جزء من القصة، إنك لم تتعلمي قط كيف تروين قصة مشوّقة.»

كان كلاي رافعاً يديه وراحتيه نحوهما وهو يحدق من أخت لأخرى: «أريد أن أعلم كل شيء قبل أن أفقد أعصابي. ما علاقة هذا كله بكذب سامنتا عليّ؟ إنني لم أسمع حتى الآن أي شيء يدينها. ربما كانت طريقتها غير مستحبة في نظري، ولكنها قامت بما شعرت أن عليها القيام به لكي تنقذ حياة طفل وتمنحه بيتاً حسناً ينشأ فيه. فما هي المشكلة في هذا؟»

وقفت سامنتا ثم تقدمت منه خطوة: «إنني لم أشأ أن أخسر الطفل.» وكان صوتها أكثر ثباتاً مما تشعر به.

فتقدم نحوها بدوره قائلاً: «إنك طبعاً لم تشائي ذلك وأنا سأرى المحامي للنظر في ما قد تتشعب عنه اخطاؤك وسنرى ما يمكننا عمله لتصحيحها قانونياً. وسيكون كل شيء على ما يرام.»

اغرورقت عيناها بالدموع، وقالت: «إنك لا تفهم، يا كلاي. أنت هو والد جيس.»

وصفقت فيكي بيديها وهي تقول: «برافو. لقد نطقت أخيراً بالحقيقة. لقد كنت ظننت أنها لن تتطرق إليها أبداً.»

ترك كلاي سامنتا، ثم توجه نحو زوجته السابقة وأمسكها بكتفيها يهزها: «أنت تكذبين. لم نكن معاً في ذلك الحين.»

«على العكس. ربما لم نكن نعيش معاً في منزل واحد، ولكن لو كنت تتذكر، فقد كنا أقمنا حفلة وداع حقيقية... لنا نحن الاثنين فقط.»

نظر كلاي إلى الشقيقتين مصعوقاً وقد تملكه غضب لا يوصف، لم يستطع أن يصدق ما سمعته أذناه. ولكن الألم والمهانة اللذين تجليا في وجه سامنتا، وفي عينيها الدامعتين، أثبتت مخاوفه. سواء أعجبه ذلك أم لا، وسواء كان هذا صحيحاً أم لا، فإن عليه أن يقبل حقيقة أن سامنتا تعتقد ذلك. وهذا يعني أنها خدعته متعمدة. كان أشد ما آلمه هو إدراكه مبلغ استغفالها له. ولم يستطع البقاء والنظر إليها لحظة واحدة بعد ذلك. فصرف بأسنانه، واستدار مندفعاً إلى الخارج كالعاصفة متجهاً إلى سيارته حيث بإمكانه أن يكون وحيداً.

كان يريد أن يبتعد عن ذلك المكان لكي يفكر. ماذا لو كان ما قالته فيكي صحيحاً وأن له إبناً.

بعد ذلك بثوان، أدرك ما كان مثار سخطه وخيبة أمله. وهو أن سامنتا لم تكن تكذب فقط لحماية الطفل من القانون، وإنما كانت كذلك تحاول منعه من مقابلة فيكي لكي لا يعلم أن جيس هو ابنه.

ولكن، هل هو ابنه حقاً؟ أيمكنه أن يصدق كل ما تدعيه امرأة مثل فيكي؟ نعم، فقد كان هناك حفلة وداع بينهما من ذلك النوع، فقد زارته فيكي في منزله ذات مساء وفي يدها رأي محاميها في مبلغ التعويض الودي.

وشعر كلاي بقلبه يتلوى ألماً. فقد أحب سامنتا ووثق بها، وابتدأ يحب طفلها، أيضاً فكيف أمكنها أن تتصرف بشكل بريء تماماً وطبيعي بينما تخفي هذا السر القاسي؟ هل كانت تظن حقاً أنه من الأنانية بحيث يأخذ منها الطفل؟ وهز كتفيه استخفافاً ثم تناول سماعة الهاتف وأدار رقم مكتبه: «جوديث، لقد حصلت على توقيع زوجتي السابقة على معاملة الأرض. ولكن ربما في الأمر خدعة، فهي تدعي أن في الأمر تواطؤ، وربما رفعت ضدنا دعوى.»

فقالت: «حسناً. ما هي خطوتنا التالية؟»

«خذي لي موعداً من المحامي... جورج، إذا كان موجوداً، اجعليه في الأسبوع القادم. ثم استدعي لي راسموسن.»

«مرة أخرى؟»

«مرة أخرى. كنت ظننت أننا انتهينا من التحريات، ولكن يبدو أنني كنت مخطئاً.»

سألته باهتمام: «هل أنت بخير؟»

«لست متأكداً. إن حياتي ابتدأت تتمخض عن قصة مأساوية.»

«ربما بإمكانك جعلها قصة واقعية تبيع حقوقها فتكسب ثروة.»

فقهقه ضاحكاً. إن الحديث مع جوديث يرفه عنه على الدوام مهما كان مزاجه متعكراً، فقال: «لا أحد سيصدقها. حتى أنا أحياناً.»

«حسناً، لا تقلق كثيراً. إن مثل هذه الأمور تكون نتيجتها حسنة إذا اقترنت بالصبر.»

فقال متذمراً: «إنك تتحدثين ككل النساء. فأنا شخصياً أشعر برغبة عنيفة في ضرب شخص أو شيء إلى أن يكلّ ذراعي.»

«ولكنك لن تفعل ذلك.»

«كلا، لا أظن ذلك. ومهما بلغ من جنوني فلن أتهجم على أحد.»

«وهذا يجعلنا مختلفين عن انسان الكهوف البدائي.»

«نعم لسوء الحظ.»

* * *

صاحت سامنتا وهي تنظر إلى أختها التي حطمت حياتها بقسوتها، بعينين يغشيهما الدمع، صاحت تأمرها: «أخرجي من بيتي.»

قالت فيكي:

«إني ذاهبة.» واتجهت نحو الباب في الوقت الذي اعترض فيه جيس طريقها وهو يفرك عينيه بيديه السمينتين وينشج باكياً وقد ظهر عليه الخوف.

رفع بصره إلى تلك السيدة التي ترتدي تلك الملابس اللامعة المضحكة، وقد اتسعت عيناه وشحب وجهه: «أين ماما؟»

www.elromancia.com

أشارت فيكي بيدها نحو المطبخ: «هي هناك.»

سمعت سامنتا هذا الحديث القصير بين جيس وأختها حيث كانت تتبعها إلى الباب لتتأكد من خروجها، فانحنت بعينين دامعتين، تأخذ الطفل الخائف بين ذراعيها: «لا بأس يا حبيبي. أنا ماما هنا.»

«هل هذه امرأة مجنونة؟»

رفعت سامنتا شعره عن جبهته وقبلته هناك: «انها ستذهب، فلا تقلق.»

رفع جيس بصره إليها: «هل تبكين؟» ووضع ذراعيه حول عنقها: «لا تبكي يا ماما. أنا أحبك كثيراً.»

«لا بأس يا حبيبي.» وحملته تضمه إلى صدرها، ثم واجهت أختها قائلة: «أترين هذا؟ أرجو أن تكوني قد أدركت ما فعلته بنا.»

«أنا لم أفعل بك شيئاً.»

«إنك تعلمين أن كلاي سيضغط عليّ الآن بشكل ما. فهو رجل قويّ حازم وقد علم الآن أن طفله سلب منه.» وصدرت عنها آهة مختنقة: «آه يا فيكي، ما الذي سأصنعه الآن؟»

هزت فيكي كتفيها بعدم اكتراث: «أظن أن عليك أن تتزوجيه. وهذا أسهل حلّ. فهو ليس زوجاً سيئاً. وإنما أنا كنت بحاجة إلى حياة رغيدة في حياتي أكثر مما بإمكانه أن يمنحه لي، ولهذا فقط تركته.»

جاهدت سامنتا في سبيل تمالك نفسها وهي تنفجر فيها قائلة: «إنني لن أتزوج أبداً.»

فقالت فيكي وهي تقترب منها متخلية عن شيء من

اختيالها: «ولمَ لا؟ فإن منظرك مع الطفل يؤكد بأنك خلقت لتكوني أماً وربة منزل. تزوجي إذن.»

وهنا انطلقت كل العقد النفسية المكبوتة بسبب الصدمة العاطفية التي تلقتها سامنتا لتوها، فردت عليها دون تردد: «إنك لا تعرفين شيئاً، أليس كذلك؟ هل تذكرين شيئاً عن آخر ملجأ أيتام كنا فيه معاً؟»

«ماذا بشأنه؟ كان سيئاً ولكنه تحسن بعد أن فرقتنا الدولة عن بعضنا.»

«وهل لديك فكرة عن السبب في حدوث هذا؟»

«لأنك طلبت مني أن نهرب، كما أظن.» ومطت ملامحها متابعة: «لم أعرف قط ما هي الضرورة التي كانت ألجأتك إلى ذلك. ماذا استفدنا منه غير المزيد من المضايقات؟»

فشردت سامنتا من احتضان جيس، وقالت وهي تخمد ما تشعر به من مذلة ومهانة: «لقد أبعدتك لأجنبك الحياة التعسة القاسية التي أصبحت عليها حياتي.»

«ماذا؟ انك معتوهة.»

«أنا معتوهة؟ لقد حاول احد مديري الملجأ التحرش بي، ولكنني افلت منه بأعجوبة. وحالما استطعت أن أجمع عدة دولارات وذلك بمنتهى الصعوبة، حتى وضعت ثيابنا في كيس ورقي، وأخذت بيدك ثم هربنا. ولم يصدق موظفو الشؤون الاجتماعية قصتي عما جرى لي، ولكنني كنت أعلم أن عليّ أن أقوم بذلك حتى ولو كانت النتيجة أن نتفرق أنا وأنت، فترة من الزمن.»

«آه.»

قالت سامنتا: «لا أستطيع الزواج، اني اكره هذا! هل فهمت؟ لقد حاولت ان انسى تلك المحاولة الدنيئة ولكني لم استطع.»

قالت لها فيكي: «وماذا في الأمر؟ يمكنك ان تصارحي كلاي، واعتقد انه سيتفهم رفضك ويساعدك على نسيان ما جرى.»

حملقت سامنتا غير مصدقة في وجه هذه الشابة التي كانت أنقذتها ذات يوم بكل شهامة، وقالت: «أتظنين أنني سأخبره بذلك؟ منذ أول مرة أخبرت فيها الشرطة عن مدير الملجأ، نظر إليّ المسؤولون وكأنني أكذب لكي أخفي السبب الحقيقي لهربي، منذ ذلك اليوم لم أخبر أحداً بأمري.»

قالت لها فيكي: «ولكن كلاي سيصدقك. فأنا أعلم أنه يحبك.» وأشارت برأسها نحو الطفل: «والطفل يحبك أيضاً.»

فقالت سامنتا: «هذا صحيح، والآن أشكرك فهو يظنني أسوأ كاذبة في تاريخ العالم.»

«سترين أنه سيعود. وإذا تزوجتما فسيكون لكما أولاد آخرون مثل جيس. وسينسى كل شيء عما حدث اليوم.»

هزت سامنتا رأسها بحزن: «كلا يا فيكي. لن يكون لي أولاد آخرون.» وطبعت قبلة رقيقة على رأس جيس وأخذت تؤرجحه أماماً وخلفاً.

فسألتها فيكي: «وما الذي يمنع ذلك؟»

أجابت: «كنت أنت ما زلت صغيرة، ولكن هل تتذكرين

عندما كنت أتردد على الأطباء لوجود مشاكل صحية؟»

«أظن ذلك، لماذا؟»

«لقد أجمعوا على ليس بإمكاني الانجاب. ترين لماذا لن أوافق أبداً على الزواج من كلاي. إنه يريد الكثير من الأطفال. وهو يستحق زوجة يمكنها تزويده بهم.»

كانت فيكي قد فغرت فاها ذهولاً، ثم أطبقت فمها ببطء وهي تفكر: «هذا هو السبب، إذن في أنك جعلت جيس محور حياتك؟»

قالت سامنتا: «إنني أحبه، فهو إبني. إنه كل ما أملك وما سأملك.»

همست فيكي وهي تقترب منها: «بينما جئت أنا ونسفته لك. إنني لم أفهم أبداً، ولم أتصور أبداً كيف أصبحت حياتك مأساوية بهذا الشكل وذلك لأجلي. آه، تباً لكل ذلك يا سامنتا.»

«لم يكن ذلك ذنبك، فقد كنت في الثامنة من عمرك فقط، لقد كنا وقعنا فريسة أحداث لم نكن نستطيع، نحن الاثنين حيالها شيئاً.»

كانت الدموع قد ابتدأت تتلألأ في عيني فيكي: «لقد كنت تحمينني طوال الوقت، وعندما أصبحت الوصية القانونية عليّ، تابعت ذلك. وهذا هو السبب في أنك كنت حازمة طوال الوقت.»

ابتسمت بشغف وهي تقول: «طالما حاولت ألاّ أكون كذلك ولكنك كنت طفلة صعبة.»

«وصماء أيضاً، كما يبدو.» ومدت يدها تربت على ذراع شقيقتها بحذر، وعندما لم تقفز هذه إلى الخلف أو تشتمها،

وضعت ذراعها حول كتفها: «كيف يمكنني التعبير عن أسفي لكي تصدقينني؟»

ارتجفت شفة سامنتا السفلى وهي تنظر إليها: «أعلم أنك آسفة.»

كان الدمع في عيني أختها قد ابتدأ يختلط بالكحل في أجفانها ليعطيه مظهراً موحلاً حين سال على وجنتيها. مدت سامنتا إصبعها ومسحت ذلك وهي تقول: «إن منظرك مشوش، يا اختي.»

فأطلقت فيكي ضحكة قصيرة واهنة وهي تحاول منع بقية دمعها من أن يسيل، ثم تمسحه عن وجهها: «إنك تحاولين أن تمسحي أنفي كما طالما فعلت. ولكننا نحن الاثنتين، بحاجة إلى قبضة من المناديل.»

«هنالك علبة مناديل ورقية على الثلاجة.» وسارتا معاً ببطء إلى المطبخ. سامنتا في المقدمة بينما يد فيكي على كتفها.

قالت فيكي وهي تنظر بجانب عينها إلى الطفل الذي كان يخفي وجهه في كتف أمه: «إنه طفل ظريف حقاً.»

«أترين ذلك؟» وما كان لأي مديح أن يدخل السرور إلى نفس سامنتا أكثر من هذا، في تلك اللحظة.

«نعم، أظنني كنت خائفة فقط من التعلق به فيما لو اهتممت به كثيراً. إنما لا تقلقي. فمهما حدث سيبقى طفلك أنت.»

جلست سامنتا إلى المائدة وجيس على ركبتيها: «والآن، ماذا علينا أن نفعل؟»

قالت فيكي:

«أظن أن علينا أن ننتظر ما سيقوم به كلاي.» وجلست على كرسي بجانب أختها.

قالت سامنتا وهي تمد يدها لتربت على يد أختها: «أتعلمين يا اختي؟ للمرة الأولى في حياتنا، أوافقك على رأيك.»

www.elromancia.com

الفصل العاشر

كانت سامنتا قد طلبت من فيكي البقاء عندها لكي تتحدثا، ولكن بما أن ماك وفرقته كانوا ما يزالون في المدينة، أصرت الأخت الصغرى على الذهاب إلى منزلها.

«لديّ عمل عليّ القيام به، مثل تجديد طلاء أظافري وما أشبه. ولكنني سأعود.» قالت فيكي ذلك وهي تنظر إلى أظافرها تفحصها: «كما أن ماك أرادني أن أصبغ شعري بلون وردي كشعره.»

فقالت سامنتا: «وهل لماك شعر وردي اللون؟» وعندما ضحكت أختها رفعت حاجبها. بينما قالت فيكي: «يا لك من فتاة مضحكة. إن لماك شعراً وردي اللون بالطبع. فهي علامته المسجلة. ألم تري صوراً للفرقة؟»

«باللون الأبيض والأسود فقط، وإلا لازداد شعوري بالقلق لنفوذه عليك إذا أنا علمت أنه بمثل هذا الطبع الغريب.»

قالت فيكي: «إنه ليس غريب الطبع، وإنما هي صورة ذهنية، جزء من عمله. إنه على كل حال، سيبقي لون شعره ورديا إلى أن تنتهي جولته الاوروبية.»

«هل ستذهبين إلى اوروبا معه؟»

«نعم. فرنسا، انكلترا، المانيا، هذا شيء رائع، أليس كذلك؟» وانحنت تضع قبلة الوداع على وجنة جيس، وبصراحة الأطفال غير المدربة، عبس ومسح مكان القبلة بيده، وكأن قبلتها قد وسّخت وجنته.

نظرت سامنتا إلى أختها تغادر المنزل وهي تبتسم بزهو وكأنها هي التي انجبت هذا الطفل الظريف. كان من المؤسف جداً أن فيكي لم تستطع المكوث معها مدة أطول. ليس لأن سامنتا لم تكن تحب شيئاً من الهدوء والسكون من باب التغيير، فهي منذ اليوم الأول الذي عاد فيه كلاي إلى الظهور في حياتها لم تستطع أن تشعر بالراحة، ولا النوم الهادىء في الليل، وربما كان ذلك هو السبب في شعورها بالإرهاق البالغ إلى حد الاغفاء حين كانت تقرأ حكاية قبل النوم لجيس، وذلك على عكس المراد تماماً.

صعدت سامنتا إلى مكتبها وهي تتثاءب، ثم جلست أمام الكمبيوتر. إن عليها أن تعود للعمل في قصتها الدرهوستل حالاً ثم هناك قطعة انسانية ممتعة عن رجل كان يربي النحل في فناء داره الخلفي، ويمنح العسل للفقراء.

حدقت في شاشة الكمبيوتر الزرقاء أمامها، وذهنها المشوّش يرفض العمل. وأخيراً وضعت يديها في حجرها ونظرت إلى جيس لتطمئن عليه وهو يلعب بأمان بقربها على الأرض، ثم أغمضت عينيها. سترتاح هنيهة، ثم تعود إلى العمل.

وعندما نظرت في ساعتها بعد ذلك، كانت قد مرت ساعة تقريباً وقد تكور جيس نائماً على السجادة بجانب مكتبها.

• • •

كان واقع أن السيارة التي كانت تقترب من كلاي كانت رياضية فضية اللون تشبه تماماً تلك التي كان رآها أمام منزل سامنتا عند اندفاعه العاصف ذلك، كان ذلك قد لفت

ذهنه إلى شخصية القادم. فأخذ يشتم بصوت خافت: «إنها فيكي هنا. وهي وإن كانت عابثة إلا أنها ليست غبية على الاطلاق.»

قال لها وهو يراها قادمة نحوه عند مباني سيكامور: «ليس بيننا ما نتحدث بشأنه. يمكنك أن تتركي عنوانك الحالي ورقم هاتفك عند سكرتيرتي. ومنذ الآن، سيستلم المحامي معاملاتنا بنفسه.»

فقالت: «إنني لم أحضر لأجل البحث في الأعمال. أقسم أنني جئت لأقدم إليك معروفاً.»

قال ساخراً: «آه، هذا حسن، لا أستطيع الانتظار.»

قالت: «لا تكن معتوهاً، يا كلاي، فإن سامنتا تحبك.»

«إذا كان هذا ما جئت لقوله، فلا تضيعي وقتك.»

فقالت: «لقد قمت مؤخراً بالكثير من ذلك. إنما هذه المرة، فإن كل كلمة أقولها تستحق منك الاستماع. صدقني.»

رد عليها بحدة: «لن أصدقك أو أصدق أختك بعد الآن ولو كانت حياتي هي الثمن.» وسار شامخاً بأنفه تاركاً إياها واقفة وحدها.

لحقت به بعناد قدر إمكانها، مجتازة تلك الأرض غير الممهدة. كان حذاؤها الطويل الثقيل العالي الكعب لا يساعدها على السير بثبات، فكانت تبسط ذراعيها لتحتفظ بتوازنها.

نادته من خلفه قائلة: «أنا لا ألومك. المسألة هي انني اكتشفت لتوّي شيئاً عن أختي كان تأثيره عليّ بالغاً، وأنا واثقة من أن تأثيره عليك لن يقل عن تأثيره عليّ.»

«دعي عنك ذلك.»

فكادت تركض لتلحق به، وهي تقول: «لا أستطيع. لقد كانت سامنتا تحميني وكنت أنا من الحمق بحيث لم ألحظ ذلك. إنني مدينة لها حقاً.» وأمسكت بذراعه وهي تضيف قائلة: «لقد تعرضت لحادث اعتداء عندما كانت صغيرة، يا كلاي.»

فوقف عند ذلك فجأة وهو يسألها: «ماذا قلت؟»

فانحنت تريح يديها على ركبتيها وهي تلهث قائلة: «شكراً، فقد اجتذبت اهتمامك أخيراً.»

«أمامك عشر ثوانٍ لتفسير كلامك. تكلمي بسرعة.»

وقفت تسوي ثيابها: «لا بأس، إليك بالقصة. إنني لا أعرف التفاصيل الفاجعة. ولكن سامنتا كانت على صواب في كل ما قامت به. وحين أفكر في ذلك... في هربنا، في حمايتها البالغة لي، وكيف أنها لم تكن تتحدث قط عن سنوات مراهقتها، ونفورها من الرجال...»

فقاطعها: «وكيف تعرفين أن هذا صحيح؟»

«لأنها أخبرتني بذلك لتوّها.»

استمر في سيره لا يريد تصديقها، وذلك بقوله: «آه، بالطبع، وأنت صدقت حكايتها تلك.»

فصرخت خلفه قائلة: «كفى حماقة واستمع إلي.»

وقف كلاي وهو يفكر في ما تحاول فيكي أن تخبره به. إذا كان هناك ذرة من احتمال أن تكون سامنتا قد تعرضت لمثل ذلك الأذى، فليس بإمكانه أن يهرب من معرفة ذلك. استدار عائداً إليها وهو يقول: «متى قالت إن هذه الأمور حدثت معها؟»

فهزت كتفيها: «لا أدري بالضبط. لقد أخبرتني أنني كنت

في الثامنة من عمري، فلا بد أنها كانت في حوالي السادسة عشرة. وكان هذا قبل أن نهرب من الملجأ مباشرة.»

فقال بهدوء: «ذلك عندما انتقلت سامنتا من مدرستنا الثانوية المحلية. إنني أتذكر مبلغ ما كان بدا عليها من الأسى.»

«كانت صدمة قاسية حتى الموت. لم يكن لدينا والدان أو أقرباء. ومدير الملجأ حاول الاعتداء عليها مهدداً إياها بفعل نفس الشيء معي إذا هي امتنعت عن الاستسلام، ولكنها استطاعت المراوغة. والمسؤول عنا في دائرة الشؤون الاجتماعية رفض تصديق اتهامها لذلك الرجل. وهكذا بقيت هي في ذلك الوضع بينما كانت ما تزال أقرب إلى الطفولة.»

جذب كلاي نفساً عميقاً، ومضى يحدّق إلى التلال وبساتين البرتقال التي تحيط بمشروع البناء. بقدر ما كان يتمنى لو ينبذ حكاية فيكي العنيفة باعتبارها ملفقة، فقد رأى أن من الممكن أن تحتوي على شيء من الواقع. فإذا كانت سامنتا قد تعرضت لمحاولة اعتداء، ولم تتلق علاجاً نفسياً بعد ذلك مباشرة فإنها تكون قد تعرضت لأذى دائم لا يمحى.

وأخيراً قال: «إذا كان ما تقولينه صحيحاً، فهذا يفسر أشياء كثيرة. أين هي الآن؟»

«لقد تركتها في البيت، ودرت بالسيارة أبحث عنك. وقد كنت محظوظة إذ خطر لي أنك ربما جئت إلى هذا المكان.» وربتت على ذراعه وهي تقول باسمة: «حسناً، إن القرار الشاق هو لك الآن، إن عليّ أن أذهب الآن فإن ماك بانتظاري.»

واستدارت على عقبيها لتسير على الأرض غير المستوية متجهة إلى سيارتها. فصاح كلاي من خلفها: «شكراً.»

فرفعت يدها تلوّح له بها، قائلة: «عدني فقط أن تدعوني إلى العرس.»

العرس؟ وشملته موجة ساخرة. ما الذي جعل فيكي تعتقد أنه ما زال يريد سامنتا زوجة له؟ تباً لذلك، فبعد الساعات القليلة الماضية، لم يعد واثقاً من أنه سيسمح لنفسه بتصديق امرأة مرة أخرى.

ما عدا سامنتا، كما قال له قلبه. وإذ حاول مناقشة هذه الفكرة، أدرك أنه مهما يكن ما قالته أو فعلته سامنتا، فهو ما زال يحبها.

وابتدأت هذه الفكرة تتبلور في رأسه. لقد كان أمضى سنوات محاولاً أن يهدم الحواجز التي كانت سامنتا أقامتها بينهما دون أن يخطر بباله تلك الافكار المرعبة التي تتملكها... ولا عجب في أن محاولاته مراراً التقرب منها كان يجعلها تنخرط في نوبة بكاء. وأخذ يشتم. كم من الجروح القديمة نكأتها محاولته تلك دون أن يتصور ما كان يسببه لها من أذى.

في تلك اللحظة، كان كل ما يريده كلاي هو أن يهرع إليها ليشعرها بالأمان من الماضي ولينقلها بعد ذلك معه إلى مستقبل سعيد. فجروحها النفسية كانت بهشاشة قشرة البيض، وبحساسية الطفل حديث الولادة الذي كانت أنقذته، وأن من الواجب عليه أن يعاملها بتلك الطريقة وإلا فلن تشفى أبداً.

صعد إلى سيارته وأحكم الحزام حوله. كان لا يعلم ما

ينبغي عليه القيام به بالنسبة إلى سامنتا. ولكنه كان واثقاً من شيء واحد فقط... وهو أنه سيحاول أن يريها أن حبه لا يشبه بشيء تلك التجربة الهائلة التي حطمت ثقتها منذ وقت طويل.

كل ما كان بحاجة إليه لذلك، هو أن تمنحه فرصة. فإذا لم تشأ هي ذلك... حسناً، إنه سيقوم بكل ما عليه القيام به ومن ثم يفرض الحل. ففي النهاية، إما أن تكرهه لذلك وإما أن تتفهم سبب ضغطه عليها بهذا الشكل.

طمأن نفسه بأنه مناسب لها تماماً. وكان كذلك على الدوام. إن كل ما عليه أن يفعله الآن هو اقناع سامنتا بهذا الواقع دون أن يخسر صداقتها.

أرسلت سامنتا جيس ليلعب في الخارج، بعد أن استيقظ من قيلولته، لتجد نفسها بعد ذلك تجول في أنحاء المنزل دون هدف. كانت غير قادرة على تركيز أفكارها في أمر ما بشكل جدي. فقد كان عقلها لا يكف عن التفكير في كلاي وما يمكن أن يتصرف به بالنسبة إلى جيس. فهو لم يكن قط رجلاً قاسياً أو حقوداً، من ناحية أخرى، لم يحدث قط أن أخفى ابنه الوحيد عنه لأكثر من سنتين.

وعندما سمعت طرقاً على الباب، لم يخطر لها مطلقاً أن زائرها هو كلاي. ففتحت الباب على الفور.

ابتسم لدى رؤيتها: «مرحباً.» وكانت ترتدي قميصاً قديماً قد حال لونه الوردي فأصبح بنفس لون الانتفاخات حول عينيها.

نظرة واحدة منها إلى كلاي، أغلقت بعده الباب في وجهه.

فعاد يطرق الباب: «سامنتا؟ هيا دعيني أدخل.» لم يكن هناك شك في أن بإمكانه الدخول رغماً عنها، ولكنه باعتبار

ما كان سمعه عنها لتوه، لم يشأ استعمال قوته الجسدية في نيل ما يريد.

«ابتعد من هنا.»

«ليس قبل أن تسمعي ما أريد قوله.»

«إذن، فأرجو أن يكون هاتف سيارتك موجوداً، لكي يمكنك أن تطلب ما تأكله من المطعم لأنك ستبقى خارجاً مدة طويلة قد تموت اثناءها جوعاً.»

«سأجرب حظي.»

صاحت به: «أليس لديك بيت؟»

«طبعاً عندي، وسأكون مسروراً إذ أريك إياه قريباً. ما رأيك في أن يكون ذلك غداً؟» وسمع صوتاً غير واضح ينبيء عن الازدراء فلم يملك إلا أن يضحك. كانت سامنتا ادامسون امرأة فكهة، ولا غرابة أن يشعر دوماً بالبهجة في صحبتها.

وقال يغيظها: «هذا يسرني. حسناً، أظنني سأجلس على الأرجوحة هنا إلى أن تواتيني الفرصة، وإذا سألتني جارتك عما أفعله هنا وحدي فسأخبرها بأنك طردتني خارجاً وأنني سأبقى هنا إلى أن يبرد طبعك وتصفحي عني وتعيديني إلى الداخل.»

فقالت: «ربما هذا هو الواقع.»

قال: «وأنا أظن ذلك.»

وعندما لم تعد تسمع صوته، انتظرت بقدر ما سمح لها به فضولها، ثم شقت الباب قليلاً تتلصص عليه من خلاله. لم يكن ثمة أثر لكلاي. ولكن سيارته كانت ما تزال هناك. فتقدمت إلى شرفة الباب ونظرت حول المنزل، ثم عادت إلى الداخل.

مهما كان المكان الذي هو فيه الآن، أو اللعبة التي يزاولها، فقد كانت واثقة من أنه سيعود.

جالت قليلاً في أنحاء المطبخ، ثم نظرت من النافذة إلى حيث كان جيس. وسرعان ما قفز قلبها من موضعه.

لماذا لم يخطر ببالها المشوش، المكان الذي يمكن أن يكون كلاي فيه؟ لقد أصبح له كل الحق الآن في أن يمضي مع ابنه أوقاتاً غير محدودة. وهذا شيء طبيعي. وأخذت تتساءل على نحو غامض، كم من الوقت سيمضي قبل أن تتشتت حياتها تماماً، وذلك من جراء اضطرارها إلى البقاء بقربه لأجل جيس وما في ذلك من اجهاد لأعصابها.

كان كلاي واقفاً يتحدث إلى الطفل. ولم تدهش وهي تراه يحمل الطفل ويتجه به نحو باب المطبخ.

وقف عند العتبة قائلاً: «هل يمكنني الدخول؟»

فهزت كتفيها: «ولكنك دخلت فعلاً. ويمكنك البقاء كذلك.»

بدا وكأن مشاعرها قد انفصلت، بشكل ما، عما يدور حولها. كانت تشعر بشيء من عدم الارتياح، لكنه لا يقارن بكل ذلك التوتر الذي أحدثه في كيانها وجود كلاي.

سارت إلى المائدة، ثم جلست وهي تقول: «أظنك جئت لتقديم انذار نهائي.»

«إلى حد ما.» وساعده الاكتئاب الذي بدا على وجهها في اتخاذ الخطوة النهائية في عقله، فتابع قائلاً: «جئت أطلب منك الزواج بي.»

وعندما ضحكت باستخفاف، تقدم نحو المائدة قائلاً: «إنني جاد يا سامنتا، تزوجيني.»

فسألته: «وإذا لم أقبل؟» لم تكن تصدّق أن ليس لديه خطة خفية فيما لو لم تقبل عرضه للزواج.

فقال: «عند ذلك اضطر إلى الابتداء بالاجراءات القانونية للمطالبة بإبني.» ومزقت قلبه الدموع التي تجمعت في عينيها اللتين كانتا محمرتين، ولكنه غالب مشاعره، ذلك أنه إذا كان الطريق الوحيد للوصول إليها هو من خلال حبها لجيس، فليكن ذلك.

أمعنت سامنتا النظر في وجهه طويلاً، ثم سألته: «إنك تعني هذا حقاً، أليس كذلك؟»

«نعم.»

«وإذا أنا رفضت الزواج منك؟»

«لقد سبق وأخبرتك ماذا سأفعل. ليس الخيار بيدك، يمكننا أن نقوم بهذا بالطريق السهل أو الصعب. فإذا أردت أن تستمري في إداء دور الأم لجيس، فإن عليك أن تدعيني أصبح أباه.»

عضت شفتها السفلى، ثم قررت أن تعطيه أفضل سبب بإمكانها التفكير به لتجعله يتخلى عنها، فبعد أن كشفت ما في نفسها أمام فيكي، أصبحت فكرة إخباره تلك القصة القذرة للمرة الثانية أكثر سهولة، فقالت ببطء: «إنني لست المرأة التي تظنها. فإن في ماضي حياتي أشياء أشعر بالعار منها.»

«أتعنين ما حدث لك عندما كنت في السادسة عشرة؟»

ففتحت فمها ذاهلة: «أتعرف ذلك؟ كيف؟»

أجاب: «فيكي.»

«ليس لها الحق في ذلك.»

مدّ يده يربت على يدها مهدئاً: «لم تكن أختك تقصد سوى أن ترد لك الجميل لما فعلته لأجلها، لم يكن أي منا يدرك الجحيم الذي كنت تعانينه.» واغرورقت عيناه بالدموع: «سامنتا، لقد كنا صديقين، فلماذا لم تطلعيني على هذا الأمر؟»

«لماذا؟ لكي تتهمني بالكذب كما فعل الآخرون؟ إنك لا تريد الزواج مني، يا كلاي.»

«بل أريد.»

فقالت وهي تومىء برأسها: «هذا لأجل جيس. يمكنني أن أتفهم هذا، ولكنك لست مضطراً للزواج مني لكي تؤمن لنفسك مكاناً دائماً في حياته. يمكنك أن تزوره هنا أو تدعوه إلى منزلك متى شئت. وسأسجل لك ذلك كتابة، إذا استلزم الأمر.»

فهز كلاي رأسه: «هذا لا يفيد، يا سامنتا. أنا وأنت سنتزوج.»

«كلا، يا كلاي.»

«بل سيكون ذلك يا سامنتا. أتريدين أن تتدبري أمر الموعد لذلك مع رجل الدين أم أقوم بذلك؟»

فكرت بحزن في أن هذه اللحظة كانت يجب أن تكون الأسعد في حياتها. ولكن، ها هي ذي تستمع إلى هذا الرجل الذي تحبه وهو يتحدث عن عرسهما، ولا تكاد تتحرك مشاعرها، لقد بدا وكأن روحها قد خمدت نهائياً.

عندما نظرت باتجاهه، لم تكد تراه. كانت تحدث نفسها أن من المفروض أن تكون مسرورة إذ يعرض عليها الاحتفاظ بجيس، كان هذا هو الموضوع الأهم لديها، أما

بقية حياتها فقد سبق ولحقه الخراب. وزواج دون حب لن يجعله أسوأ كثيراً.

قالت أخيراً: «لا بأس، يا كلاي سأتزوجك. ولكنني لا أريدك أن تستعجلني. عندما كنت بنتاً صغيرة كنت أحلم بنفسي عروساً بثوب أبيض هفهاف، ربما لم أعد أستحق ارتداء ثوب أبيض، ولكنني أنوي أن أرتدي ذلك الثوب، وأن يكون لديّ البنات الصغيرات يحملن ذيل الثوب.»

فأومأ برأسه: «ما دام أبوك غير موجود، فإن جيس يمكنه أن يكون مرافقك، إذا شئت، إنه بتلك الطريقة سيشعر أن له دوراً مهماً في ما يحدث.»

فسألته: «كم ستعطيني وقتاً أستعد فيه؟» ولم يكن لديها فكرة عما تأخذه مثل هذه الاستعدادات، ولكنها لمهارتها في التنظيم، تصورت أن بإمكانها مجابهة أيّ تقييد يفرض عليها.

«كم تريدين من الوقت؟»

وحيرها هذا الاذعان، فسألته: «هل شهران مدة طويلة؟» كانت تريد أن تطلب مدة أطول لو كانت متأكدة من أنه سيستجيب وحيث أن الأمور تسير سيراً حسناً حتى الآن، فقد قررت ألاّ تطرد الحظ عن بابها.

كان كلاي يفكر بدوره في أن ساعتين، وليس شهرين، هما مدة طويلة بالنسبة إليه، ولكنه كان قد تغلب الآن على رفضها على الأقل، فقال: «هذا حسن جداً.» ونظر إلى الباب: «هل نذهب ونخبر جيس؟»

تنهدت وهي تقف: «أظن ذلك. فهو من حب الاستطلاع بحيث سيتصور أن هناك شيئاً ما، ومن ثم يسوقني إلى الجنون إلى أن أعترف بأن لديّ سراً أخفيه.»

فقال كلاي: «إنه ورث ذلك عني. فأنا لا أدع لغزاً إلا حللته.»

نظرت متسعة العينين، إلى وجهه الحبيب إلى ما رأته في عينيه من رقة وعطف.

نظر كلاي في عينيها، قائلاً: «سيكون زواجنا سعيداً، يا سامنتا. أعدك بذلك.» وإذ افترضت أن فيكي لا بد أخبرته أيضاً عن عدم إمكانها الانجاب، تساءلت بعجب عن الطريقة التي جعلته يغير أهدافه الشخصية ويبدل نظرته إلى الحياة بهذه السرعة.

قال لها وهو يأخذ بيدها يستحثها: «هيا بنا، إن لديّ طفلاً صغيراً أريد أن أدهشه بخبر رائع.»

تبعته سامنتا وقد بدا التفكير على وجهها، ذلك أن كلاي هو رجل طيب، وسيكون أباً ممتازاً. إنها ستتابع طريقها وتخطط لحفلة الزفاف، حسب وعدها. إنما في الأعماق كانت تتمنى لو أنه يغيّر رأيه فلا يدفعها إلى هذا الأمر، قبل أن يفوت الأوان بالنسبة إليهما، هما الاثنين.

الفصل الحادي عشر

مع مرور الأسابيع، بدا لسامنتا أن كلاي لا يكاد يشعر بوجودها، نعم كان ودوداً ومستعداً لاصلاح كل ما تكلفه به حول المنزل، أو تسأله عن متطلباته بالنسبة لحفلة الزفاف.

قبل حفلة الزفاف بشهر، أتى كلاي على ذكر صفات فيكي بشكل عارض، فالتمعت في ذاكرة سامنتا صور من أيام أختها الأولى.

كانت الأم متوعكة صحياً لبعض الوقت حيث أخذت في النهاية إلى المستشفى. وتذكرت سامنتا كيف أخذت تبكي، لتعلم بعد ذلك أنها لم تكن مريضة قط... فاللفافة الصغيرة التي احضرها والداها معهما لم تكن مثار دهشتها فقط، وإنما أصبحت اكثر إثارة للمتاعب مما تستحق.

لقد سارعت أمها تحذرها: «لا تلمسي الطفلة، فهي غاية في الرقة.»

أما أبوها فقد انتظر برهة على الأقل ليربت بعد ذلك على رأس سامنتا قبل أن يظهر هو أيضاً ذلك السرور المقزز للنفس بالقادمة الجديدة.

كانت قد سألت: «هل استطيع أن احملها؟»

فرأت أمها تكاد تصفعها لهذا السؤال، وهي ترد عليها: «كلا، إياك وحملها، يا للفتاة الحمقاء.»

فقال أبوها عندذاك: «والآن، يا نورما، ان سامنتا لا تقصد هذا، أليس كذلك يا عزيزتي؟ إنها لن تضايق أبداً

أختها الطفلة.» وقد ابتسم، في ذلك الحين، إنما لم تكن عيناه مبتهجتين كما كانت سامنتا إلى القدوم إلى سرير الطفلة سائرة على اطراف اصابعها، احياناً. وعندما أخذت فيكي تكبر، ابتدأ جمالها يتبلور، وكذلك طباعها. لقد كان والداها يدللانها كثيراً ويتحملان نوبات غضبها العنيفة المفاجئة، بينما كان يتكون في نفس سامنتا شعور بالمسؤولية والثقة بالنفس.

كانت علاقتها بفيكي وثيقة بقدر ما يسمح به تنافر طباعهما واختلاف شخصيتيهما، وربما تعود بعض قوة مزاياها إلى واقع شعورها، حينذاك، بالإهمال من والديها ما جعلها ترعى نفسها بنفسها غالباً. فما اغرب تفاعل الأمور.

ولكنهما اصبحتا الآن صديقتين حقيقيتين، كما أخذت سامنتا تفكر بعطف، فقد أخذت فيكي تحرص على الابتعاد عندما يكون كلاي موجوداً، والذي كان اغلب الوقت، ولكنهما كانتا تتحدثان معاً في الهاتف لمدة ساعات.

وعندما تذكرت سامنتا أنه لم يبقَ سوى أيام على سفر ماك وفرقته إلى أوروبا، اتصلت بأختها هاتفياً، حيتها فيكي بالفرنسية وهي تضحك: «صباح الخير، انني احاول تعلم الفرنسية. كيف حالك؟»

«جيد نسبياً.»

«هل هو موجود مرة أخرى؟»

أجابت سامنتا: «طبعاً. وإلى أين يذهب؟»

«إلى عمله، إن علينا جميعاً أن نعمل احياناً لنبقي على طريقة حياتنا، هذا على كل حال، ما يقوله ماك.»

قالت سامنتا: «لقد نقل كلاي عربة مقطورة إلى مكان الإنشاءات التي يجريها لكي ينام فيها، وبهذا يوفر ساعتين يومياً كان يقضيهما في الطريق بين عمله ومنزله في فيكتورفيل.

«هذا نكاء منه لا بد أنه ترك فيك انطباعاً جيداً.»

«آه، نعم، انني في غاية السعادة. وطبعاً لم استطع كتابة مقالة واحدة للصحيفة وذلك منذ ثلاثة أسابيع، حين ابتدأ هذا الهراء.»

«ألا يشغل جيس عنك لكي تتمكني من الكتابة؟»

كان رأي فيكي سليماً في هذا الشأن باعتراف سامنتا وهي تجيبها: «نعم، إنه يقوم بذلك. ولكن المشكلة هي أنهما يمرحان كثيراً ويثيران ضوضاء كبرى فلا استطيع التركيز.»

فعادت فيكي تضحك: «لا أظن أنه خطر لك الإنضمام إليهما.»

«لقد خطر لي ذلك فعلاً.»

«ولكنك لم تستجيبي لذلك الخاطر.»

«انك تستحقين جائزة الجواب الصحيح.»

سألتها فيكي: «أما زلت تتجنبين كلاي؟» وكانت لهجتها تنبىء عن عدم استحسانها لذلك.

«إنني اعرف انك لن تصدقيني، ولكن ذلك لم يعد مشكلة، فكلاي يبدو أنه يتجنبني بدلاً من ذلك، فنحن لا نتحدث عادة إلا عن جيس أو المنزل أو مهنتينا.»

قالت فيكي: «آه، انكما تبدوان وكأنكما متزوجان.»

«لقد قمت فعلاً بهذه المقارنة منذ فترة، وهذا ليس سيئاً،

كما تعلمين، فأنا اشعر بكثير من الارتياح بالنسبة إليه.»

«حاولي ان تعدلي من نفسيتك قبل ان تتزوجيه وإلا فقد تخسرينه.»

فهزت سامنتا رأسها وقد ازدادت استسلاماً لمصيرها يوماً بعد يوم: «كلا. لا شيء من ذلك سيحدث. وقد اخبرتك عن ذلك من قبل. إن كلاي لا يفعل ذلك إلا لأجل جيس.»

«لا أصدق انك تظنين ذلك حقاً.»

«أنا لا اظنه وإنما اعرفه، فقد قال ذلك مرة بعد مرة وبطرق مختلفة. وهو يقوله بصراحة الآن وذلك بقضائه كل وقته مع جيس ويعاملني وكأنني لست بذات أهمية إلا فيما يختص بإبنه.»

تمنت سامنتا لو ترى أختها وجهها المتجهم وهي تقول حانقة: «رحلة سعيدة، يا فيكي. اذهبي إلى باريس أو إلى مكان آخر، والقي محاضرات على الفرنسيين عن العلاقات العامة بدلاً من ان تخبريني على الدوام عما ينبغي علي القيام به.»

فقالت الأخت الصغرى: «انني فقط أرد لك الجميل عن كل السنوات الماضية التي كنت فيها بمثابة أم لي. بالمناسبة، ربما تحبين أن تعلمي انني خفضت كثيراً من السهر خارج المنزل.»

وكان هذا أحسن خبر تلقته سامنتا منذ شهور، فقالت: «آه، يا حبيبتي، ما اشد سروري.»

«كنت اعلم انك ستسرين. قبّلي الصغير عني.» ضحكت وقد بان الحنان واضحاً في صوتها. «وقبلي أباه العزيز عني هو أيضاً، هذا إذا كنت تجرؤين... هيا.»

وعندما وضعت سامنتا السماعة كانت تبتسم، ذلك أنه منذ توقفت هي وأختها عن الخصام، وجدتا الصداقة اسهل مما كانتا تحلمان به.

وبينما كانت مستغرقة في احلام اليقظة تلك، قفزت مبغوتة وهي تسمع صوتاً عميقاً خلفها يسأل: «كيف حال فيكي؟»

امتدت يد سامنتا إلى سماعة الهاتف بحركة لاشعورية وكأنها تكتم عنه ما تحتويه من سابق حديثها مع أختها، وقالت: «في أحسن حال.»

سألها: «هل ثمة شيء آخر جديد؟»

«كلا، لماذا؟» وشعرت بالضيق إذ ساورها احساس بأن كلاي قد يكون سمع حديثها مع أختها. ولكنه هز كتفيه قائلاً: «ليس هناك سبب. جيس يقول انه سيخرج هذه الليلة ليأكل بيتزا. وقد وعدته بأن اطلب منك القدوم معنا. ما رأيك؟»

«هذه الليلة؟ ان لدي عملاً. انما اذهبا انتما الاثنين، فأنا آكل أي شيء هنا.» وكانت تتوقع منه أن يناقشها في ذلك، ان يتوسل إليها لترافقهما، وربما بتهديدها، ولكنه عندما لم يفعل سوى أن وضع يديه في جيبيه ثم أومأ برأسه مبتعداً، شعرت بالخذلان.

ولكنها حدثت نفسها بأنها معتوهة، وأنه اعطاها نفس ما طلبته منه تماماً، فليس ثمة ما يجعلها تشعر بخيبة الأمل هذه، ولكنها كانت تشعر بذلك، وبشكل هائل. ومرة أخرى، كان تصرف كلاي مغايراً لما كانت تتوقع منه في الماضي، كان يبدو وكأنه نبذها تماماً ولم تعد ذات أهمية بالنسبة إليه.

استأجر كلاي طاقماً من البنائين لترميم ودهن منزل

سامنتا قبل حفلة الزفاف، وذلك بالرغم من اعتراض سامنتا التي قالت تناقشه: «من الحماقة، إعادة طلاء البيت بينما نحن لن نسكن فيه.»

«الأفضل ان يكون دوماً في حالة حسنة، وبجانب ذلك، ألا تريدينه أن يبدو حسناً أثناء حفلة الاستقبال؟» وتحدث كلاي إلى العمال برهة، ثم استدار إليها: «طلبت منهم أن يطلوه بنفس لونه الأساسي، إذا كان هذا يعجبك.»

«اللون يعجبني تماماً. ولكنني لا اظن من المناسب أن تدفع نفقات اصلاح منزلي، كما ان ليس بإمكاني دفع مثل هذا المبلغ حالياً.»

«إنه سيصبح بيتنا نحن الاثنين، بعد اسابيع قليلة، يا سامنتا. وهذا يذكرني بانك لم تخبريني ما هو التغيير الذي تريدينه في منزلي فيكتوريا فيل.»

فقالت: «لا أريد القيام بأي تغيير. فهو منزلك وقد اثثته انت حسب ذوقك، ويجب ان يبقى كما هو.»

«انني رجل قديم الطراز يا سامنتا. فما لي هو لك، والعكس بالعكس.»

فقالت: «لا بأس.»

أدار لها ظهره مبتعداً تاركاً إياها واقفة تحدق في أثره متسائلة عما تراها قالت أو فعلت ما جعله يذهب.

اقترب من الدهانين واستند إلى ظهر شاحنتهم، كان جون وآندي قد عملا لديه منذ ست أو سبع سنوات، ثم قال: «ان الطلاء الأبيض على الجوانب مع الحواشي الزرقاء يعجبها تماماً، فابدآ العمل.» وضغط على أعلى أنفه يوقف بذلك الصداع الذي كان يشعر به.

عاد كلاي إلى المنزل، ثم صعد درجات شرفة الباب حيث وقف ينظر حوله. لقد كان انزل الأرجوحة يزيحها من طريق العمال. يوماً ما، سيجلس عليها مع سامنتا في ضوء القمر، ولكنه كان يعلم أن عليه أن يتصرف برقة وحذر مع سامنتا بعد الزواج، وربما أكثر مما يقوم به حالياً، وذلك لمصلحتهما هما الاثنين، وإذ ذكر نفسه بأن عليه ألاّ يخيفها أو يؤذيها مهما كان الأمر، فقد استطاع أن يكبت مشاعره إلى حد يقرب من الاستسلام. وكان للأسابيع الماضية تأثير بالغ السوء على اعصابه، ولكن كلاي كان يعلم أن هذا أمر لا يقاس بالمحنة التي سيواجهها بعد قليل، ولكن، لو لم يكن يحب سامنتا بكل هذه القوة والوفاء، وبمثل هذا الالتزام، لما استطاع أبداً أن يصبر على هذا الضغط.

كانت سامنتا ستتمنى حضور فيكي في حفلة زفافها لو لم تكن هذه في طريقها من باريس إلى كوبنهاغن بصحبة ماك ومن ثم يتزوجان هناك وذلك في نفس تاريخ عرس سامنتا، وهكذا كانت إليانور هي المرشحة المنطقية لهذا، وبما أن أولادها كانوا اصدقاء لجيس، فقد رأت سامنتا أن تستضيفهم جميعاً في حفلة الزفاف. وكان هذا شيئاً حسناً، لأن إليانور كانت قد أرهقت نفسها في خياطة ملابس بناتها.

قالت لها ذات مساء، وكانت إليانور تصلح حاشية ثوب ابنتها ستيفاني: «لا أدري ماذا كنت سافعل لو لم تكوني خياطة ماهرة بهذا الشكل، فأنا لم اكد اصدق أن متجر ثياب العرائس يستغرق ستة أشهر لإعداد ثوب عرس.»

فقالت اليانور: «كان من حسن حظنا أن وجدنا القماش

الذي نريده في التنزيلات، انني أحب الوانها هذه، ألا تعجبك أنت؟»

«طبعاً مادمت أنا التي اخترتها.» و ابتسمت وهي تنظر إلى الثوب الصغير المعلق في غرفة خياطة اليانور، وقالت: «هل سكتت تريسيا عن البكاء مطالبة بأن يكون ثوبها بنفس طراز ثوب أختها؟»

أجابت إليانور: «لقد سكتت أخيراً بعد أن اخبرتها بهدوء أن العرس هو عرسك انت وليس عرسها، وأظنها اقتنعت بذلك.» وقطعت بأسنانها خيطاً، ثم نفضت صدر الثوب الذي انتهت منه لتوها، ثم سألتها: «هل جربت قياس سترة جيس عليه؟»

أجابت سانتا ضاحكة: «جربتها عليه أمس، كم بدا حبيباً فيها.»

«أهو حبيب كأبيه؟ كان عليك أن تخبريني، ما كنت لأحضر إليك جيس في ذلك اليوم لو كنت عالمة بقصدك.»

«أعلم ذلك، إنما كنت أظن أن من الأفضل كتمان الأمر، ولو عادت بنا الأيام لربما كنت طلبت منك أن تساعديني بحفظ السر عن والد جيس وأمه الحقيقية.»

همست اليانور: «ثم تخسرين هذا الحظ بالزواج من كلاي؟ ها نحن نتكلم كما تتكلم الأم وابنتها.»

«هيا تابعي عملك، يا إليانور، ولنغير الموضوع.»

«حسناً، والآن اخبريني عن ثوب عرسك الذي اشتريته، لا بد أنه رائع الجمال.»

قالت سامنتا: «إنه جميل، فقسمه الأعلى من الدانتيل المطرز باللؤلؤ، وله ياقة عالية، خصره ضيق وله ذيل يجر على الأرض، وقد أحببته منذ اللحظة التي وقع بصري فيها

عليه. لم يكن يناسب قياسي سوى ثوبين فقط، وهذا الثوب كان معروضاً في التصفيات، لم اكن اعرف ما سيكلفني كل هذا، وإلا لفضلت أن نهرب أنا وكلاي إلى فيغاس حيث نتزوج.»

«ولماذا لم تفعلا ذلك؟»

لم تشأ أن تعترف لها بأنها كانت تريد أن تؤخره قدر استطاعتها آملة أن يغير رأيه من ناحية الزواج، وعندما تأكدت من أن عزمه لن يتغير، كانا قد التزما بنفقات حفلة الزفاف. هذا إلى أنها كانت تحب فكرة الزواج في المدينة نفسها التي كانا يجتمعان فيها، هي وكلاي، في حداثتهما.

قالت: «لا أدري لماذا لم يخطر ببالي ولاية فيغاس. واظنني لم اكن افكر بوضوح عندما طلب مني الزواج به.»

فقهقهت إليانور ضاحكة: «هذا اكثر الأشياء عقلانية سمعتها منك منذ مدة طويلة، لو كنت أنا مكانك وطلبني للزواج شخص مثله لتشتت ذهني مثلك، ثم هو والد رائع... كذلك يقول زوجي والذي لا يعطي رأيه اعتباطاً.»

«أحقاً؟»

«لا تتغابي. بعد رجوعكما من شهر العسل سنقيم حفلة شواء في الفناء الخلفي أو ما أشبه.»

«شهر العسل؟ لم يسبق أن فكرت في الذهاب إلى أي مكان، ولكنني اظن كلاي يريد ذلك.» كانت ترجو ان يلغي أية رحلة وذلك لأجل مشروع المركز التجاري، وعلى الأقل يمنحها فرصة للتعود على فكرة الزواج منه أولاً.

قالت اليانور: «من الطبيعي ان تذهبي إلى مكان غير عادي فهو اظهر حتى الآن أنه لا يبخل بالمال على ما يتعلق

بك. انظري ذلك الخاتم، ما أروعه.» ونظرت إلى الماسة الزرقاء المتألقة في اصبع سامنتا.

أخذت سامنتا تديره في اصبعها مفكرة، لقد بدت لها الأسابيع الماضية اكثر من مجرد حلم غريب. كانت كحالم في دوامة من التصورات الغريبة. لا يمكن لهذا ان يكون حقيقة. لا يمكن أن تكون مخطوبة حقاً من كلاي، لقد كانت هذه الفكرة بعيدة الاحتمال بل تكاد تكون مستحيلة.

الفصل الثاني عشر

بدت تريسيا وتيفاني ابنتا اليانور بالغتي الجمال في ثوبيهما الورديين، كما كان ولداها تومي وترافيس رائعين في سترتيهما الرسميتين. وكان ترافيس هو حامل الخاتم، لأن جيس كان عليه أن يسير قرب أمه.

كان من بين الحضور صديق كلاي ديك راسموسن المخبر السري الذي كان تحرى عن مولد جيس.

بزغ ذلك النهار الخريفي متألقاً مرتفع درجة الحرارة، وحتى ذلك الصباح لم تكن سامنتا شعرت بكثير من التوتر والعصبية، ولم تكن في الواقع قد تركت نفسها تفكر كثيراً في تفاصيل العرس. وهكذا أمكنها أن تسلو الكثير من مخاوفها.

كل ذلك انتهى عندما استيقظت صباح ذلك اليوم، والشعور الذي كان مجرد عدم ارتياح بسيط قد تصاعد تدريجياً ليستحيل بعد الظهر إلى ما يشبه الذعر.

قالت لها اليانور: «تبدين رائعة الجمال.» وكانت تبدي إعجابها بثوبها القديم الطراز المصنوع من الدانتيل وذيله الطويل، والتطريز اليدوي باللآلىء: «معك حق، فهو أجمل ثوب رأيته، يا ليت خصري بهذه النحافة.»

لمست سامنتا عقد اللالىء حول عنقها: «أشكرك لإعارتي هذا العقد. إنه مناسب جداً.»

«إنه مستعار.»

«أتعنين مثل العريس؟»

عبست اليانور وهي تسوّي من نقاب سامنتا للمرة الثالثة: «ظننتك وأختك قد سوّيتما هذا الأمر.»

فهزت سامنتا كتفيها: «لقد حصل هذا، وأتمنى لو كانت معنا اليوم، ولكنها تخاف من ترك ماك بعيداً عن ناظريها فترة حضورها إلى هنا من الدانمارك والعودة إليها.»

قالت المرأة: «أما أنت فلن تشعري بمثل هذا القلق مع عريسك. إن أيّ شخص يمكنه أن يرى أنه مجنون بحبك.»

حدثت سامنتا نفسها بأنه مجنون بحب ابنه في الواقع. فلولا جيس لما كان فكر بالزواج منها.

ونظرت إلى كرسي في الزاوية حيث كان ترافيس يحاول أن يربط شريط حذاء جيس الجلدي الأسود، بينما تريسيا مندفعة بتعليمات لا ضرورة لها من تيفاني وتومي. وإذ ابتدأت الضوضاء، امتنّت سامنتا لوجود والدتهم معهم، والتي كانت عند حسن ظنها إذ رفعت هذه صوتها مرة واحدة وإذا بالضجيج يخمد.

قالت لها الأم: «لقد ذكرتهم بأنني أنذرتهم بأن أرسل من يسيء التصرف منهم إلى أبيهم للجلوس معه على المقعد هناك. إنك لا تتصورين مبلغ الاستثارة التي يشعرون بها هذا النهار.»

فدارت عينا سامنتا ورفعت حاجبيها قائلة: «آه، بل أعلم.»

قالت المرأة: «إنك تقومين بالعمل الصائب فالحياة الزوجية مع الرجل المناسب هي رائعة. أنا أعرف.» وضحكت: «إنك تتطلعين إلى بعض الفوائد حالياً، ذلك أنه ليس الأطفال هم الشيء الوحيد الحسن. كم من الأطفال تأملان أنت وكلاي أن تنجبا؟»

لم تكن سامنتا تستمع جيداً إلى ما تقوله صديقتها، ولكنها سمعت جملتها الأخيرة، فسألتها: «عم تتكلمين؟»

«عن الأطفال، لقد كنت أتجاذب أطراف الحديث منذ يومين، مع كلاي، فرأيته مثل زوجي... متلهفاً إلى ملء كل غرف ذلك المنزل الكبير بأولاده.»

فشعرت سامنتا وكأن يداً ضخمة قبضت على قلبها. وفجأة أدركت أن الذي كان يضايقها هو كامن في عقلها الباطن، رافضاً أن يطفو إلى السطح وذلك أثناء الشهرين الماضيين.

ألقت بباقة الورد التي في يدها إلى اليانور، ورفعت النقاب عن وجهها: «امسكي بهذه وسأعود حالاً.»

«ولكن...»

جمعت ذيل ثوبها إليها، وخرجت من باب غرفة الملابس خارجة إلى القاعة، وذلك قبل أن تعود اليانور من دهشتها وتناديها من خلفها.

وعند وصولها إلى حيث كان كلاي يجهز نفسه، قرعت الباب فظهر أمامها متسائلاً: «ماذا جرى؟ هل حدث شيء لجيس؟ هل هو خائف؟»

«كلا، هل لك أن تسكت لحظة؟» وسكتت تلتقط انفاسها وما زالت القبضة تعتصر قلبها دون أن يخفف عنها مظهر كلاي الوسيم. وسحبت نفساً عميقاً، ثم قالت: «أريد أن أعرف بالضبط ما الذي كانت أختي أخبرتك به عن ماضيّ الفظيع.»

«الآن؟ وفي هذا المكان؟»

«نعم، صدقني إن لديّ أسباباً لذلك.»

«أنا واثق من ذلك، ولكنني لا أريد أن أستعيد تلك

الذكريات القديمة في هذا الوقت وفي يوم كهذا. دعي عنك هذا، يا سامنتا فقد مرّ وانتهينا منه. فكري في المستقبل وليس في شيء لا يمكنك تغييره.»

«ما لا يمكنني تغييره هو الخطأ في مستقبلنا. إنني أريد أن أتأكد من أنك تعلم عني كل شيء قبل أن نستمر في كل هذا.»

وكانت تحدق فيه محاولة أن تلمس أية اشارة سلبية في وجهه فقال: «لقد سبق ووافقت على الزواج منك ولا أنوي تغيير رأيي مهما كان كلامك ولم يبق أمامنا سوى هذا الاحتفال الرسمي.»

فسألته: «ولكن ماذا بالنسبة إلى انجاب الأطفال؟»

وتأكدت إزاء النظرة الساخرة في عينيه، أسوأ مخاوفها فتابعت تقول: «إنك لا تعلم. أليس كذلك؟»

«أعلم ماذا؟» وأمسك بذراعها بعد أن أحس بحاجتها إلى من تستند إليه.

فقالت بصوت مرتجف: «أنا لا يمكنني الانجاب.»

«ما هذا الذي تتحدثين عنه؟»

«عندما قلت لي انك وفيكي قد تحدثتما عن مشكلاتي، فقد افترضت أنها أخبرتك بكل شيء عني. ومنذ دقائق قليلة، كنت أتحدث إلى اليانور، خطر لي أن من الممكن أن تكون أختي ذات الذهن المشتت قد أغفلت عن ذكر هذا الأمر المهم، هذا هو السبب في رغبتي في رؤيتك قبل فوات الأوان، لكي أحلّك من عهدك.»

فقال: «لا تكوني سخيفة.»

«لست أنا السخيفة. فلطالما حدثتني عن رغبتك البالغة

في تكوين أسرة كبيرة. وكان هذا أحد الأسباب التي جعلتني أرحل عن مدينتي هذه إلى سان فرانسيسكو. فقد كنت تتحدث دوماً عن الأطفال بينما كنت أنا أعلم أنني لا أستطيع الانجاب.»

فهز رأسه وهو يمرّ بيده على رقبته، ويقول: «بعد كل ذلك الوقت الذي كان بإمكاننا التحدث فيه عن هذا الأمر، جئت الآن لتقذفي به في وجهي؟ لماذا؟»

«لأنني لم أشأ لك أن تكمل زواجنا هذا إذا كنت ما تزال ترغب في أسرة كبيرة. لا أحد سيلومك إذا أنت تراجعت عن ذلك، وخصوصاً أنا.»

أخذ كلاي يسوي من سترته وهو يفكر في ما كاشفته به وقد بان الجد على وجهه. كان حزنها واضحاً. ولكن المسألة هي، هل مظهر القنوط في تصرفها هذا ناشيء عن أنها تكذب عليه، أم أن ذلك لأن الحقيقة مؤلمة للغاية؟ وأخيراً قرر أن أياً من الأمرين لن يغيّر ما عزم عليه، كما يبدو أنها تظن.

وأخيراً، هز رأسه نفياً: «هذا غير مجدٍ، يا سامنتا. لا تتوقعي مني أن أتراجع. عودي من حيث جئت لأن سنكون أمام رجل الدين بعد قليل.»

فقالت متوسلة: «أرجوك يا كلاي. عليك أن تصدقني.»

فقال: «سواء صدقتك أم لا، فهذا غير مهم. وأنا أتوقع أن أكون في عصر هذا اليوم والد جيس أمام القانون.»

سارت سامنتا عائدة ببطء. لقد قامت بكل ما بإمكانها لكي تحذر كلاي، أن تكون نزيهة معه. ولكنه تصرف وكأنها قد لفقت هذه الحكاية... فكان هذا الحكم عليها قاسياً وهي التي تقيم وزناً للصدق والنزاهة والقيم الأخلاقية.

عادت إلى اليانور تستعيد منها باقة الأزهار بينما عادت المرأة تثبت النقاب على رأسها.

ابتدأ الموكب حين أخذ منظمو حفلة الزفاف ينشرون ذيل ثوب الزفاف خلف سامنتا ويقودون جيس إلى مكانه بجانبها، ويداً بيد تقدم الأم والإبن إلى الأمام.

نثرت الأزهار الوردية والصفراء في طريقهما، كان زجاج النافذة الملون يلقي بألوان قوس قزح المتلألئة على المكان.

ألقت سامنتا نظرة شغف على جيس لتدرك أنها لن يهمها شيء آخر، وما هي المحن التي ستتحملها في النهاية، وما هي التضحيات التي ستقدمها فقد كانت تقوم بما يجب نحو إبنها. وهذا ما كان ينبغي أن يكون، نعم إن كلاي أبوه، ولكنها هي أمه، وابتغاء سعادته هو واجبها.

لو كان أحد أخبر سامنتا أن بإمكانها المطالبة بمليون دولار على أن تسترد دقائق حفلة زفافها إلى كلاي، لكانت خسرت هذا المبلغ. كانت تقوم بما يطلب منها وهي في حالة ذهول، لا تكاد معها تسمع أو ترى شيئاً. وكان جيس قد أبدى حاجة لشيء ما، فقضت اليانور حاجته، وعدا ذلك كانت سامنتا غافلة عن كل شيء.

كان كلاي قد استأجر مصوراً، مصراً بذلك على أن يكون عرسه كأي عرس آخر. وقد وقفت مع كلاي أمام المصور كزوج وزوجة، كما أنهما تصرفا وابتسما كأي عروسين عاديين، ولكن سامنتا كانت تتخيل امرأة سواها هي التي تقوم بإداء كل هذه الأمور بإسمها.

ولحسن الحظ، كان المدعوون قد اقتصروا على مجموعة من أخلص اصدقائهما. وبينما أخذ جيس يركض في أنحاء

الغرفة يلعب مع أولاد اليانور، كانت سامنتا تصافح المدعوين وتتلقى منهم التهاني.

كانت تدرك أن أحاديثها القصيرة كانت مكررة هازلة، ولكنها اعتبرت نفسها محظوظة إذ ما زالت تذكر اسمها والذي كان تغيّر لتوه باسم زوجها، وقد ذكرها بهذا أول شخص تقدم إليها للتهنئة.

هز رجل الدين يد كلاي واحتفظ بيد سامنتا بيده بنفس الطريقة الرقيقة التي اعتادها أبوها حين كان حياً، وكان يقول: «يا سيد ويا سيدة اليس. لقد كانت زوجتي هيلغا تفكر دوماً بأنكما ستتزوجان يوماً ما.»

فقال كلاي وهو ينظر إلى عروسه: «وهذا ما كنت أنا أقوله. سنكون سعيدين لو جئت أنت وهيلغا إلى منزل سامنتا حوالي السادسة من هذا المساء حيث سنقيم حفلة صغيرة لا تضم سوى بعض الأصدقاء القدامى.»

«سيسرنا هذا كثيراً. هل نحضر معنا طبق طعام؟»

فقال كلاي: «شكراً. هذا ليس ضرورياً. فقد سبق واتفقت مع مطعم لإرسال طعام.»

«السادسة إذن، وألف مبروك.»

عندما أصبحا وحدهما، التفت كلاي إليها: «هل أنت بخير؟»

«أظن ذلك، لماذا؟»

«لا أدري. يبدو شكلك غريباً. ما رأيك في كوب من عصير الليمون؟» وأضاف ليضحكها: «إنه ليس من عمل البيت.»

«إن كل ما تقترحه حسن.»

توقف قليلاً، عابساً ثم تركها ليحضر لها العصير، وعندما عاد، وجدها جالسة على كرسي وجيس على ركبتيها يعبث

باللآلىء المحبوكة على ثوبها، محاولاً أن يعدها فيصل إلى رقم ثلاثة ثم يبدأ من جديد. فقال لها: «أظن من الأفضل أن تقفي إذ ربما سينسكب العصير على ثوبك إذا بقيت جالسة.»

قالت سامنتا: «هذا غير مهم.» وأخذت من يده الكوب حيث أعطت جيس جرعة منه قبل أن تشربه.

فقال كلاي: «هل تعنين أن لا شيء مهماً؟»

«مهما قلت، فأنت السيد هنا.»

اعترض قائلاً: «إنني لم أتزوجك لأكون سيداً لأحد، لقد تزوجتك لأنني أحبك... وأحب جيس.»

فقالت بهدوء حزين: «ولكنك ما زلت لا تثق بي. لقد حاولت أن أخبرك بالحقيقة قبل أن يفوت الأوان، ولكنك عاملتني وكأن هذه قصة ملفقة أتهرب بها من الزواج بك.» وغالبت دموع الخيبة التي اغرورقت بها عيناها.

نظر إليها كلاي حائراً: «ما الذي تتحدثين عنه؟»

فقالت وهي تحتضن جيس وتقبل جبهته بالرغم من مكافحته لكي يعود إلى عد اللآلىء: «عن الأطفال. ربما ستصدقني الآن عندما ترى أنني لن أربح شيئاً. لقد ذهبت لزيارة العديد من الأطباء والإختصاصيين، يا كلاي. إن زواجك مني يعني أن أسرتك ستقتصر على ولد واحد فقط، وهو هذا الذي تنظر إليه.»

أخذ جيس منها وأرسله بعيداً ليلحق بتومي وترافيس، ليأخذ بعد ذلك، كرسيا إلى جانبها وجلس عليه، قال: «سيكون كل شيء على ما يرام، يا حبيبتي. لا تقلقي من ناحية الانجاب الآن، إنني أعلم أن كلام الأطباء قد خيّب أملك، ولكن لا تجعلي هذا يصيبك بالإحباط.»

هزت رأسها وهي تضحك ساخرة: «إن أملي لم يخب من كلام الأطباء، يا كلاي، بل منك أنت.»

«مني أنا؟ وماذا فعلت؟»

«لقد شككت باعترافي هذا وأصررت على متابعة مراسم الزواج، بينما كنت أنا بحاجة إلى أن تصدقني إلى حد يكفي لكي تقرر ما إذا كنت تتزوجني أم لا، وذلك بشكل جاد. ربما تظن أنك صفحت عني وعن فيكي بشأن خداعنا لك عن جيس، ولكن هذا لم يحدث.»

«هل هذا هو سبب ما كان يبدو عليك من استياء؟» ولم يلحظ ما شاب لهجته من حنق.

تنهدت وهي تمسح بمنديلها الموشى دمعة انسابت على خدها، ثم وقفت تقول: «لم أكن مستاءة يا كلاي، وأقول لك الحقيقة وللمرة الثانية خلال هذا اليوم، انني لم أعد أشعر بشيء بعد الآن. فقد تزوجنا حسب مشيئتك، وأنت الآن تُعتبر والد جيس قانونياً. ماذا تريد أكثر من هذا؟»

الحب هو ما كان يريد قوله. أريد حبك كما نريده نحن الاثنان أن يكون. ولكنه بدلاً من ذلك، أمسك بمرفقها واتجه بها نحو المائدة حيث كانت كعكة زفافهما تنتظر القطع.

وقفا معاً والسكين باليد، وهو يهمس في أذنها: «ابتسمي يا سامنتا، واظهري السعادة وإلا فسيتساءل الناس عما دعاك إلى الزواج مني.»

استطاعت أن ترسم على وجهها ابتسامة عريضة دامت وقتاً كافياً لكي يلتقطها المصور صورة. كان الابتهاج يبدو على الجميع، حتى على كلاي نفسه، لقد كان هذا يوم زفافها، ومن عدم الانصاف أن يكون قلبها وحده هو الكسير.

عادت اليانور مع زوجها وأولادها إلى بيتها لكي يغير أولادهما ملابسهم الفاخرة ويرتاحوا ثم تذهب مع زوجها إلى منزل سامنتا. وعندما وصل العروسان بالسيارة المزينة وصوت بوقها يعلو، أخبرت سامنتا بسرور بأنها قررت أن تأخذ جيس ليقضي بقية النهار مع أولادها، وقالت: «إن ملابسه التي يرتديها للعب قد أصبحت عندي. سأعيده إلى هنا في ظرف ساعتين، عندما أرى سيارة المطعم.»

قالت سامنتا: «صدقيني أن هذا ليس ضرورياً. إن بإمكان جيس أن يبقى معنا هنا.»

«كلام فارغ.» وكانت قد أصبحت في منتصف الفناء آخذة معها الطفل دون أي تردد أو نظرة إلى الخلف.

نظرت سامنتا إلى كلاي. كان ينظر إلى ما يحدث دون أي تعليق أو تعبير على الوجه.

نظرت حولها، وتملكتها الدهشة وهي ترى نفسها واقفة بمفردها، ويبدو أن كلاي قد وصل إلى نفس النتيجة، إذ كان يفتح الباب الأمامي.

تبعته بصمت وهي ترفع ذيل ثوبها على ذراعها ترددت لحظات قليلة تستجمع فيها شجاعتها، صعدت بعدها درجات الشرفة ثم دخلت المنزل خلف كلاي.

أغلقت سامنتا الباب خلفها، ثم توجهت نحو المطبخ، كيلا تواجه كلاي إذ أنها في اللحظة التي يواجهها فيها، فستخبره بالضبط عن رأيها فيه. قد يكون استطاع إرغامها على الزواج منه لأجل جيس، ولكن هذا فقط ما سيحصل عليه.

أخذت تهدىء من أفكارها وذلك بالاستماع إلى قعقعات وصرير هذا المنزل القديم. وكانت تسمع بجلاء صوت

تحركات كلاي في الطابق الأعلى. صعدت السلم وما زال ذيل ثوبها على ذراعها، ثم وقفت أعلاه، حائرة. كان الباب إلى الغرفة الإضافية مغلقاً، والصوت من الداخل أنبأها بأنه هناك يغيّر ملابسه بدلاً من استعمال غرفتها هي، كما كانت تفترض أنه سيفعل.

ارتدت ثوبها ذا اللون البيج، وتزنرت بحزام ذهبي وقرطين ذهبيين هما أيضاً. وغيرت حذاءها، ثم أصلحت من شعرها وزينتها وهي تتساءل عما دعا كلاي إلى التأخير. تركت غرفة نومها وأسرعت تهبط إلى القاعة حيث سمعته أخيراً يتحرك فيها.

دفعت الباب ووقفت على العتبة وقد تقبضت يداها وهي تحدق مستعدة لأيّ شيء.

لقد كانت الغرفة فارغة.

الفصل الثالث عشر

لم تستطع أن تصدق أنه تركها وحدها متعمداً، فقد وجدته في الشرفة أمام الباب يعيد تعليق الأرجوحة وحده، بصعوبة بالغة.

سألته وهي تقف خلفه فتسمعه يسب ويشتم: «أتحتاج إلى مساعدة؟»

نظر إليها من فوق إلى أسفل باعجاب ثم أشاح بوجهه قائلاً: «كلا، انك ستوسخين ثيابك.»

«لا بأس، كما تشاء.» واستندت إلى الدرابزين المطلي وأخذت تنظر إليه وهو يعمل، كان قد غير ثيابه فارتدى بنطلونا فضفاضاً وقميصاً رياضياً.

وعندما انتهى، فحص نهايتي الأرجوحة ليرى ارتفاعها، ثم تراجع إلى الخلف معجباً بما صنع: «لقد أعدت طلاءها، فقد كان خشبها حائل اللون بشكل سيء.»

«أعلم ذلك، فهذا المكان، قبل حضورك، كان بحاجة إلى أشياء كثيرة.» وسكتت لحظة، ثم قررت أن تمنحه الثناء الذي يستحقه. «لولاك لانهارت هذه الجدران حولي.»

«إن المنازل القديمة بحاجة إلى العناية على الدوام.»

تنهدت قائلة: «نعم، وهذا هو السبب الذي جعلني أفكر في بيع هذا المنزل والانتقال إلى منزلك.»

«ولكنك شغوفة بهذا المكان؟»

أومأت مفكرة: «أعلم ذلك، ولكنني أيضاً عملية أكثر منك.

إننا لسنا بحاجة إلى منزلين، منزل واحد جيد يكفينا.»

فقال: «ربما المدارس الرسمية هي أفضل في هذه المنطقة، ربما علينا النظر أولاً في هذا الأمر، ثم نقرر.»

«المدرسة!» وشردت نظراتها بعيداً وهي تفكر في قراره: «أظنك على حق. يبدو وكأن أمس فقط كان جيس طفلاً رضيعاً ضئيلاً للغاية، وأظن أنه سيصبح مستعداً لدخول الحضانة قبل أن أدرك أنا ذلك.»

فقال: «كنت أتمنى لو عرفته منذ البداية، إنني أحياناً أحاول أن أتخيل شكله حينذاك...»

تقدمت سامنتا نحوه وقد رق قلبها له: «إنني آسفة حقاً، لم تكن نيتي قط أن أؤلمك.»

وكان في وصول سيارة المطعم في هذه اللحظة، عذر له ممتاز لتجنب التعليق على اعتذارها هذا.

توجه كلاي نحو الطريق لكي يرشد سيارة المطعم إلى خلف المنزل لإنزال الحمولة. ألقى نظرة إلى الخلف، كانت ما تزال واقفة حيث تركها، وقد تشابكت يداها أمامها كعادتها حين تكون قلقة أو متوترة، وأخذ يتأمل كم هي جميلة، ويتساءل إلى متى سيكتفي بالنظر إليها.

سار نحو سيارة المطعم التي كانت تسير ببطء، لكي يبتعد عن جوار سامنتا، وتنفس بصعوبة، ثم أشار لسائق السيارة: «أوقف السيارة هناك بجانب الكاراج.»

مدّ عمال المطعم، المائدة أولاً، ثم وضعوا الاغطية البيضاء قبل أن يحضروا الأطعمة. وبقي كلاي معهم مدة طويلة، إلى أن قرر أخيراً أن من الجنون تجنب العودة إلى المنزل.

وكان يسير متباطئاً نحو الباب الخلفي عندما ظهر جيس من وراء الزاوية، وما أن وقع بصره عليه، حتى اندفع نحوه. وانحنى كلاي يحمله عالياً فوق رأسه: «مرحبا.»

وفجأة، أشاح الطفل بوجهه بخجل. فسأله كلاي باهتمام: «ماذا حدث؟ هل أنت بخير؟»

أومأ جيس برأسه وما زال مشيحاً بوجهه. فتوجه كلاي به إلى مائدة تحت العريشة وضعت عليها أطباق الحلوى. فوضع له حبة حلوى في فمه، وهو يقول: «أظن الحبات الصفراء هي الأفضل. ولكن الحبات الوردية هي الألذ بينها.»

نظر جيس إلى الطبق بفضول: «هذا هذا صحيح؟»

«نعم، إنها تكشف الأسرار.»

نظر إليه الطفل غير مصدق، ثم عاد يحوّل اهتمامه إلى طبق الحلوى: «أحقاً؟»

أجاب كلاي: «طبعاً. انظر سأريك.» ووضع حبة حلوى وردية في فمه وأخذ يمضغها مفكراً: «هذه الحبة تقول إنني مسرور لأن أجعلك ابني الصغير.»

«هذا ليس صحيحاً.»

أصر كلاي قائلاً: «آه، بل هو صحيح. هل نجرب واحدة أخرى؟»

«نعم.»

«آه، هذه الحبة أحسن.»

فابتدأت عينا جيس تتألقان: «ماذا تقول لك؟»

«إنها تقول إنني أحبك وأحب أمك كثيراً.»

فجابهه جيس بشجاعة بقوله: «كلا، هذا غير صحيح. إن

تومي وترافيس يقولان إن ليس بإمكانك أن تحبني لأنك لست بابا الحقيقي.»

«أظن هذا يستدعي حبة أخرى.» قال كلاي ذلك محاولاً أن يكون جوابه مبنياً على ما فيه خير الطفل، فأخذ يمضغ الحبة ببطء وهو يفكر في هذا الأمر، ثم قال: «هذه الحبة تقول إنني أبوك الحقيقي. ولكنني أحبك حتى ولو لم يكن هذا صحيحاً.»

اشتدت ذراعا الصغير حول عنق كلاي: «أتحبني حقاً؟»

«نعم يا جيس، أنا أحبك.» وتجمعت في عينيه دموع السعادة.

هتف جيس: «أوه... أصحيح؟»

قبل كلاي خده السمين الناعم وقد أشرق وجهه بابتسامة عريضة: «نعم صحيح.»

«هل تحبني؟»

«طبعاً أحبك.»

«وتحب أمي أيضاً؟»

أخذ كلاي يغالب دموعه قدر امكانه: «نعم يا جيس. أنا أحب أمك جداً جداً.»

«لا بأس.» وأخذ الطفل يتلوى للنزول إلى الأرض وهو يبتسم له.

فكر كلاي وهو ينزله إلى الأرض في روعة أن يكون المرء طفلاً. عندما تكون الحقيقة مقبولة دون نقاش مادامت مغلفة بالحب.

أخرج منديله من جيبه وهو ينظر إلى طفله الذي ركض مبتعداً وقد تملكته السعادة، ثم أخذ يجفف دموعه وهو

www.elromancia.com

يتمنى لو أن التعامل مع سامنتا هو بنصف سهولة التعامل مع هذا الطفل البريء الحبيب.

حالما توارت الشمس للمغيب، دخلت سامنتا التي لسعها البرد إلى البيت حيث أحضرت سترة عاجية اللون.

كان السرور يبدو على كل شخص هناك، فقد كانت الموسيقى تصدح من مسجل متنقل، بينما الأضواء الناعمة في الحديقة توفر جواً حالماً.

ألقت سامنتا نظرة من فوق الجموع إلى الخارج. كان كلاي واقفاً يتحدث إلى امرأة حسنة المنظر. وبالرغم من قلقها فقد شعرت أن عليها أن تذهب إليه لكي تعرف شخصية تلك المرأة. فقد كان يبدو عليهما الاستمتاع تماماً بوجودهما معاً.

تقدمت إلى حيث وقفت بجانب كلاي وهي تبتسم بسرور ثم مدّت يدها إلى المرأة قائلة: «إنني سامنتا، وأنت؟»

أجابت المرأة وهي تصافحها: «جوديث موريسون. سكرتيرة كلاي. أعتقد بأننا كنا قد تكلمنا معاً في الهاتف. وأنا سعيدة بالاجتماع بك.»

كان كلاي واقفاً ينظر إلى هذا التعارف الذي كان يدور بتهذيب تام. ولكنه كان يشعر بتيار خفي لم يستطع معرفة كنهه تماماً، فعندما وضعت سامنتا يدها تحت مرفقه بشكل متملك، تأكد من أن هناك شيئاً غير طبيعي. نظرة واحدة إلى ابتسامة جوديث الراضية حدثته بأنها كانت تتفق معه في هذا، ولكنها بدت مسرورة أكثر منها قلقة.

وتساءل عما إذا كان من الممكن أن تكون سامنتا غيورة، وخفق قلبه. الغيرة تعني أنها مهتمة به، وربما أكثر مما

سبق واعترفت به من قبل. كما أنها اعترفت مرة بأنها كانت تحب والد جيس. فإذا لم يكن كلامها ذاك جزء من تضليلها له بالنسبة إلى الطفل، فربما كانت تحبه حقاً. وتمنى من كل قلبه أن يكون هذا صحيحاً.

وما لبثت جوديث ان اعتذرت لتذهب الى ديك راسموسن. فقال كلاي لزوجته: «كون المرء متزوجاً يمنحه شعوراً غريباً. فهذا البيت هو نفسه، وكذلك الفناء، كما ان البعض من هؤلاء الناس نراهم يومياً، ومع هذا لا نشعر باننا نحن انفسنا.»

اعترفت قائلة: «كلا، نحن لسنا انفسنا. انني خائفة.»

فاخذ يربت على يدها ويبحث في ذهنه عن كلمات يقولها يمكنها ان تصل الى اعماق نفسها وتصلح من عقدتها النفسية لكي تصبح زوجة حقيقة له. ثم قال: «انني لن اؤذيك ابدا، يا سامنتا. اعلم انني سبق واقسمت على ذلك من قبل، ولكنه قد تضاعف الان. عليك ان تحاولي منحي ثقتك بي.»

فقالت: «إنني أثق بك ولكن لا اثق بنفسي.»

«حسناً، لا ينبغي لك ذلك، فنحن الاثنان تقدمنا إلى هذا الزواج بأعباء ثقيلة. فإذا كان علينا التخلص منها بحقيبة واحدة كل مرة، فهذه هي الطريقة الوحيدة لذلك.»

قالت: «أظن أن لديّ المزيد من الأعباء ما يملأ عربة فان أو شاحنة.»

«لا يهمني حتى ولو كنت أحضرت معك قطار شحن كامل، يا حبيبتي، إنك لي وهذا هو وحده المهم.» ونظر في عينيها بشغف: «هل صفحت عني لأنني لم أهتمّ باعترافك ذاك الذي أدليت به في آخر لحظة؟»

فهزت كتفيها: «لا أدري. أظن ذلك، لقد أصبح ذلك الآن موضوعاً فيه نظر، أليس كذلك؟»

أجاب برقة: «لقد كان دوماً كذلك. ما كان لشيء يقال أو يحدث ليثنيني عما كنت بصدده من إكمال زواجنا.» وسكت يمنحها وقتاً تستوعب فيه قوله هذا، قبل أن يتابع قائلاً: «لقد أخبرت جيس منذ فترة قصيرة بأنني أبوه حقيقة.»

فقالت غير مصدقة: «فعلت ماذا؟»

«لقد أخذ أولاد اليانور يغيظونه، ففكرت في أن من الأفضل أن يعلم الحقيقة مني أنا.»

«كيف تجرؤ على هذا العمل قبل أن تسألني أولاً.»

«كنت سأفعل هذا لولا أن جيس كان في غاية من الأسى، رأيت أن أريح ذهنه قبل أن تضطرب الأمور فيه فترهقه.»

«وما هو ذلك الكلام الذي قالوه مما سوّغ لك قول ذلك؟»

«لقد كان جيس مقتنعاً بأنني لا يمكن أن أحبه إلا إذا كنت أباً حقيقياً له.»

«فأخبرته أنت بأنك أبوه؟ هكذا بهذه السهولة؟»

«كلا، لقد تذكرت حيلة صغيرة مضحكة اعتاد أبي أن يزاولها معي منذ سنوات كثيرة. وهكذا تظاهرت بأنني اكتشف الحقيقة بواسطة قطعة حلوى.» وشرح لها مسألة الحلوى الوردية وردة الفعل لدى جيس. «لقد كانت حيلة لا ضرر منها، كما ساعدت الطفل المسكين على كشف ما في نفسه فيخبرني بما يضايقه.»

«وهل هذا ما جعلك تقرر الاعتراف؟»

«نعم. وسأعود إلى مثل ذلك إذا وجدت جيس بحاجة إلى اقتناع بأنه محبوب.»

سألته وهي تغالب دموعها: «وماذا بالنسبة إليّ؟ إذا كان هو يظن أن ليس بإمكانك أن تحبه إلا إذا كنت أباه الحقيقي، فما الذي سيفعله عندما يدرك أنني لست أمه الحقيقية؟»

«سيكون بخير تماماً. أعلم أنه سيعلم القصة بأكملها في المدى الطويل، علينا فقط ألاّ نصدمه بكل الحقائق مرة واحدة، أليس كذلك؟ عندما يحين الوقت المناسب، سنجلس إليه أنا وأنت، وسنخبره بكل شيء. إنه يعرف حبك له ولن يشك فيه الآن.»

سألته وهي ترتجف: «هل هذا كل ما أخبرته به؟»

أمسك بها من كتفيها وحدّق في أعماق عينيها الدامعتين: «كلا، لقد أخبرته أيضاً بأنني أحبك كثيراً جداً جداً.»

فهمست: «الحب لا يكفي أحياناً.»

قال: «سأجعله كافياً. أقسم على ذلك.» وانحنى يطبع على جبينها قبلة: «أحبك أكثر من حياتي، يا سامنتا.»

«أواه، يا كلاي ما الذي سأفعله معك.»

قال برقة: «أريدك أن تحبيني أنت أيضاً.»

وللمرة الثانية هذا النهار، خفق قلبه بعنف عندما سمعها تقول: «إنني أحبك.»

غلب النعاس على جيس بينما كان يلعب لعبة المطاردة مع بقية الأولاد. فتكوم تحت مائدة المقصف فأخفاه غطاء المائدة السابغ. وتوقف أولاد اليانور عن اللعب وعادوا إلى بيتهم دون أن يعثروا عليه.

وعندما أدركت سامنتا أنه مفقود، تملكها الذعر. لم

يسبق لجيس أن تاه من قبل بهذا الشكل. ذلك أنها في سبيل سلامته كانت قد وضعت ذلك السياج حول الفناء الخلفي. أتراه ذهب مع أحد المدعوين؟ أتراه تسلل خارجاً دون أن يراه أحد عندما غادر الأولاد بيتها؟

قال لها كلاي: «اهدأي، فسنجده.» ولكنها شعرت به يعاني نفس القلق الذي تعانيه.

«إنه صغير وعاجز، أوه يا كلاي، ماذا لو حدث له شيء؟»

«إنه بخير إينما كان كما أظن. أين رأيناه آخر مرة؟»

«أظنه كان يلعب مع أولاد اليانور.» وعضت شفتها السفلى: «لا أدري.»

«وهل تكلمت مع اليانور؟ أليس لدى أولادها فكرة عن مكانه؟»

«نعم، لقد اتصلت بها هاتفياً حالما شعرنا بغيابه. فقالت إنهم كانوا يلعبون جميعاً، ثم اختفى جيس.»

وعندما جمع عمال المطعم أشياءهم، ورفعوا غطاء المائدة، وقعت نظرات كلاي وسامنتا على الطفل النائم. فسقطا على ركبتيهما بجانبه يحملان جسده الدافىء الناعس بين أيديهما يحتضنانه ويهدهدانه.

ولم تدهش سامنتا عندما وجدت نفسها تبكي، كما هزّها على أي حال أن ترى أثر الدمع في عيني كلاي، أيضاً. آه! كم يحب جيس. كما كانت تحبهما هما الاثنين، أكثر مما كانت تتصور. لقد اعترفت بذلك أخيراً. وعندما ظنا هي وكلاي، أنهما فقدا جيس، أصبح معنى كلمة أسرة واضحاً كالبلور. فهو لا يعني أبداً تنافس الأبوين على حب الطفل، وإنما كان حبهما معاً موجهاً له قدر امكانهما.

تشبثت سامنتا بابنها وزوجها بشدة، سعيدة بإدراكها الجديد لهذه العلاقة العائلية.

* * *

لم يشأ كلاي وسامنتا أن يتركا جيس، بعد الخوف الذي تملكهما اثناء اختفائه، فأخذاه معاً إلى فراشه. وكان الطفل مازال غافياً إنما لم يكن غافلاً تماماً عما حوله، عندما ألبسته سامنتا بيجامته، وغطته في فراشه، وضع ذراعيه حول عنقها قائلاً: «تصبحين على خير يا ماما.»

«تصبح على خير يا حبيبي.»

عند ذلك وقعت عيناه على كلاي، فأخذ ذارعيه نحوه هو الآخر، فانحنى كلاي عليه يقبله ويمر بيده على جبهته قائلاً: «تصبح على خير يا صغيري.»

ابتسم جيس قائلاً: «قل لي يا حبيبي كما تقول لي ماما.»

ضحك كلاي وهو يهز رأسه: «هذا إذا قلت لي بابا.» فكر الطفل قليلاً، ثم قال: «لا بأس، تصبح على خير يا بابا.» وجذب غطاءه إلى ذقنه ثم أغمض عينيه والابتسامة على وجهه.

تبع كلاي سامنتا إلى القاعة وقد تملكه تأثر عميق، ووقفا صامتين ينظر كل منهما إلى الآخر. ثم قال وهو يدس يديه في جيبه: «حسناً أظن هذا كل شيء.»

«نعم، هذا ما أظنه.»

«هل استمتعت بوقتك هذا النهار؟»

لاحت على شفتيها شبه ابتسامة وهي تومىء ايجاباً: «إذا شئت الحقيقة، كان كل شيء أمامي غائماً غير واضح.»

«نعم، أعرف ما تعنين. إنني آسف إذ لا يمكننا القيام بشهر العسل على الفور. حقاً ان جوديث تلح عليّ بذلك، ولكنني لا أستطيع ترك مشروع سيكامور قبل أن يستقر أمره أكثر مما هو عليه الآن، إنك تتفهمين الأمر، أليس كذلك؟»

«طبعاً.» ولم تشأ أن تخبره بمقدار سرورها إذ تعلم بأنهما لن يرحلا الآن إلى أي مكان، فالأيام القادمة ستكون أصعب من أن تجعلها تعتاد على واقعها حتى في محيطها المألوف هذا، فكيف إذا كانا في بلد غريب؟ إن ذلك يجعل تعوّدها على الحياة الزوجية أكثر صعوبة...

شعرت بتأنيب الضمير عندما ابتدأت بنقل بعض أشيائها الخاصة إلى الغرفة الإضافية، ما جعلها تتخلى عن هذه الفكرة، والآن وهي تواجه كلاي شخصياً، شعرت بالأسف لتخلّيها ذاك.

قالت ببطء: «حسناً...»

«نعم، حسناً.»

«أظن من الأفضل أن أستعد للذهاب إلى الفراش.» وكاد هذا الإعلان العادي منها يحدث غصة في حلقها. لماذا لم تقل له ببساطة تصبح على خير كما أخذت تدرب نفسها عليها طوال النهار؟

فقال ينقذها من أي شرح آخر أو إحراج: «سأنزل وأنهي الأمر مع عمال المطعم، وأتأكد من أنهم نقلوا إلى سيارتهم أشياءهم كلها، ثم أقفل باب المنزل.»

«فكرة حسنة.» فكرة حسنة، يالها من كلمة عميقة... وجعلها عجزها المفاجيء عن القيام بحديث مفيد، تتساءل عما إذا كانت ستتمكن بعد الآن، من الشعور بأيّ ارتياح مع كلاي.

سمعته يهبط السلم في غمرة السكون الذي يعمّ المنزل، ثم يجتاز القاعة ليخرج من الباب الخلفي.

ولكنه سيعود، كانت تعلم هذا وعندما يعود ستحاول ألاّ تؤذي شعوره حين تحمله على تفهم الأمر. وما دار بينهما من حديث منذ لحظات اثبت أن ذلك النوع من الحنان لم يعد يضايقها كالسابق. لقد وجدت في الواقع، أن القرب من كلاي يبعث في نفسها البهجة.

اجتاز كلاي الفناء راجياً أن يجد شيئاً يلهيه عن التفكير في سامنتا. ربما كانت الآن في أمان في فراشها، ولكنه سيمنحها نصف ساعة أخرى لكي يتأكد من ذلك.

أخرج من سيارته حقيبة ثيابه، ثم أدخلها المنزل وأقفل الباب خلفه. كان يشعر على الدوام بالارتياح في هذا البيت حتى عندما كان صبياً صغيراً.

توقف أسفل السلم، وجذب نفساً عميقاً يتشمم روائح الطعام والليمون وطلاء تلميع الأثاث والروائح اليومية المألوفة، والتي كانت كلها ترحب به. هذه هي روائح البيت العائلي كما يجب أن تكون. إن هذا المكان وهذه الأشياء المحبوبة ما زالت تكوّن البيت الحقيقي له منذ طفولته. فهو المكان الذي ينتمي إليه حقاً.

وعلى قمة السلم توقف. لقد برز ضوء من تحت باب سامنتا. ثم استدار في الطريق المعاكس نحو الغرفة الإضافية.

سمعته سامنتا يدخل المنزل. كانت جالسة على حافة سريرها ذي الأعمدة الأربع تستمع إلى وقع خطواته تقترب وتقترب.

ساد المنزل سكون غريب. ربما كان هو ينتظر منها أن تفتح الباب. وقفت وساقاها ترتجفان ثم رفعت رأسها بشجاعة. كانت تحب كلاي أكثر مما تستطيع التعبير عنه بالكلمات. إنها ستكون معه بخير.

أمسكت بمقبض الباب النحاسي وأدارته. طرفت بعينيها لتعتاد ظلمة القاعة، ثم همست: «كلاي.»

لم يكن هناك جواب. إنه موجود هناك بكل تأكيد، وإلا فأين يمكن أن يكون؟ أتراه ذهب ليطمئن على جيس؟ وسارت في الممر بقدميها الحافيتين إلى حيث استرقت النظر إلى ابنها الراقد، كل شيء كان هادئاً ورأت في ضوء المصباح الليلي الذي كانت تحرص على ابقائه مشتعلاً، رأت أن الصبي كان وحده.

وقفت سامنتا، وأخذت تستعيد تصور رحلة صعود كلاي السلم. كانت واثقة دون أدنى شك، من أنها سمعته يقترب من غرفتها. مضت تحدّق في الغرفة الإضافية حيث كان ذهب ليغيّر ثيابه بعد حفلة الزفاف ورأت شعاعاً من الضوء يتسرب من تحت الباب.

أخذ قلبها يخفق بشدة، وتسارعت أنفاسها. ما الذي يظن نفسه يقوم به؟ لقد كان أخبرها بأنه يحبها ومع هذا يتركها لوحدها؟ هل كان يكذب عندما أخبرها بأنه لم يتزوجها لأجل الحصول على جيس؟ وملأتها هذه الفكرة ألماً وغيظاً. يا لها من وقاحة لا تغتفر.

سارت نحو الغرفة، ثم فتحت الباب بعنف دون أن تقرعه أولاً، كان كلاي مستلقياً يحدق في السقف وقد شبك يديه خلف رأسه. ولكنه قفز جالساً حال دخولها.

نظر إليها وهو يسألها: «ماذا حدث؟»

أجابت: «لا أدري. أخبرني أنت.»

«ما الذي تتحدثين عنه؟»

«أنا؟ نحن؟» ولوحت بيديها: «لم أعد أعرف شيئاً.» وحاولت أن تهدىء نفسها قدر إمكانها، ثم حدقت به قائلة: «كنت أظن أننا متزوجان.»

«إننا متزوجان فعلاً.» وارتسمت في عينيه نظرة حذر: «ما الذي تريدين قوله بالضبط؟»

«هل تحبني حقاً؟»

«طبعاً أحبك.»

تقدمت منه قليلاً: «لماذا أنت هنا إذن؟»

فهز كتفيه ثم قال: «لم أشأ لك أن تشعري بأنك خدعت ووقعت في الفخ يا سامنتا، وهذا كل شيء.»

تقدمت منه خطوة بعد أخرى ثم وقفت بجانبه. كانت تتصرف بشكل عفوي غير واعٍ، وهي تقول: «إنك زوجي الآن، يا كلاي.»

سألها بصوت خشن: «هل أنت واثقة من ذلك؟»

أجابت وهي تفكر كم تحبه، مغالبة بذلك بقايا الأذى الذي ما زال يغلف روحها، أجابت هامسة: «نعم.»

نظر إليها غير مصدق وقال: «إنني أحبك يا سامنتا، أحبك أكثر من نفسي.»

فقالت: «وأنا أحبك أيضاً. إنما أخبرني مرة أخرى بأنه لا يهمك المزيد من الأولاد. أريد أن أسمع هذا.»

نظر إليها بحنان: «كنت أريد أن أترك هذا الموضوع إلى ما بعد، ولكن ما دمت أثرته، سأخبرك بما كنت أفكر فيه. لقد

سبق وتحدثت مع المحامي عن التكفل. فأنا أعرف أنه لا بد أن يكون ثمة فتاة صغيرة رائعة الجمال في مكان ما تصلح لأن تكون أختاً لجيس، هذا إذا وافقتني على هذا.»

«آه، طبعاً أوافق.»

وابتدأت دموع الفرح تسيل من عينيها للسعادة التي ادركت انها وصلت إليها أخيراً مع هذا الزوج الرائع والطفل الجميل.

تمت

www.elromancia.com
مـــرمـــوريـــة